السنة الثالثة والستون

ايار – حزيران ١٩٦٩

نشيد الشمانين

للقديس رومانس المرنّم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه

الارشمندريت نقولا قادري الراهب الشويري

توطئة

كان ذلك في شهر نيسان. حين بدأ الخبر ينتشر. انتشر الخبر بتيامة لعازر بين سكان اورشليم القريبة من بيت عنيا حيث كان لعازر. والى اورشليم كان يتجه كل خبر مهم كما الى نقطته الدينية والسياسية. فانضم الاعجاب. الى المكر وسرى الحادث الغريب بين آلاف اليهود سكان المدينة وبين آلاف السياح القادمين الى العيد الى عيد الفصح. سبق كتاب سفر الخروج وأمر بانتقاء الحمل الفصحي في شهر نيسان واتخذه قبل اربعة ايام الى حيث سوف يذبح في اورشليم في المكان الوحيد في العالم حيث يستطيع الناس تقدمة الذبائح وذبح الحمل الفصحي.

ففي احد الشعانين كانوا يختارون الحمل بين اتفافات وصراخ الشعب المتألب في هذه المدينة الصاخبة وكانوا يذبحون الحمل الفصحي نهار الجمعة المقدسة. وامضى يسوع آخر سبت له في بيت عنيا مع لعازر صديقه واختيه مريم ومرثا وانتشر الخبر بان يسوع سوف يذهب الى اورشليم ويدخل المدينة. فتألبت جماعة كانت منحدرة من اورشليم الى بيت عنيا وأتت جماعة اخرى من بيت عنيا ورافقت يسوع انتصاعد الى اورشليم وعند الملاقاة تحمس الشعب وعلت الجماهير هتافات الانتصار ورددت الأودية صدى هذه الهتافات فسرى الصوت بسر الى مسمع الرومان المتيقين الساهرين فزادوا حراسة وتيقظاً وانتشرت اصداء في مسامع الفريسيين والكتبة فهاجوا وماجوا وارغوا وازبدوا وهموا بقتل المسيح فوراً ولكنهم توقفوا عند حماسة الشعب.

اخذ رومانس بهذه الحادثة وحللها تحليلاً ادبياً ونفسياً فجاء نشيده بين الاناشيد الجميلة وقد حفظته لنا مخطوطات جزيرة باطمس كاملا غير مشوب ولا مشوّه.

يتركب النشيد من ست عشرة مقطوعة او «بيتاً» ويربط هذه المقطوعات توزيع لطيف:

نشيد الشعانين لرومانس Εἰς τὰ Βαΐα Ῥωμανοῦ.

يبدأ النشيد بالمقدمة التي هي عرض الاشخاص: المسيح، الملائكة، الاطفال والناس. وعرض للموضوع: يسوع يركب عفواً ويسمع هتاف الانتصار «مبارك انت الآتي» والغاية التي لاجلها يركب العفو «لبعث آدم» وتجدده.

فتجديد الخليقة يتم بتجديد آدم.

في المقطوعة الأولى يبدأ الشاعر بتعداد انتصارات المسيح على الجحيم والموت والعالم بانهاضه لعازر ويستقبله الشعب كظافر. ويظهر يسوع بمظهر ملك وديع متواضع يعلو عفواً ويسرع لارتشاف الالم (م ـ ٢) فتميد صهيون من الاضطراب ويبقى يسوع ملك السلام (م ـ ٣) ويعدد الشاعر عجائب يسوع ويأخذ منها فقط قيامة الاموات: اقامة لعازر وابن الارملة وابنة يائيروس ومع ذلك ينكر الشعب للمسيح (م ـ ٤) ويرجع الشاعر هذا التنكر الى طبيعة الشعب الى قدم الاجيال فيعرض امام اعين الحاضرين تنكر اليهود لموسى المشترع والمحسن الذي تجاهله شعبه وعبدوا العجل (م ـ ٥) ثم يقابل الشاعر بين المسيح الذي هو النعمة والحق وبين جوليات العاتي الذي يمثل الشريعة والحرف (م ـ ٦).

ثم تمر امام الشاعر مغارة بيت لحم القريبة من اورشليم فيقابل مشهد الاستقبال والهتافات مع هتافات الملائكة لمن ترك السماء ونجد (م—٧) وكيف اختار المسيح حالة الفقر في بيت لحم والآن ايضاً يختار الفقر فيعلو على حيوان اعجم (م—٩) ويتنازل يسوع هنا الى الصلب ويمزق الصك بصليبه (م—١٠).

وهنا يدور حوار رشيق بين الاله الخالق والبشرية الخليقة الساقطة ويفيمها ان الشريعة عاجزة على انقاذ الانسان وعاجزة على تسديد الديون المتراكمة (م—١١) وهذا التسديد للديون تم بالصليب وبالحب، بالفقر والاتضاع وتحمل الآلام وانتزاع البشر من اشداق الذئاب (م—١٢).

وهنا يصل السيد المسيح الى مقابل اورشليم فيغمرها بالحنان ويتضجع عليها كانها في يوم الافتقاد فيراها تلعب بها ايدي المخربين (م—١٣) ثم يقرعها على اعمالها الشريرة وقتلها الانبياء السابقين وها هي الآن تجرد الى داخلها لتقتله كما قتلت الانبياء (م—١٤) فيدخل يسوع المدينة وقد ارتجت كلها تحت اقدام المتألمين حول يسوع فيلج الهيكل ويطرد منه غير الجديرين ويصرح بأنه ابن الله (م—١٥).

وينهي الشاعر نشيده بصلاة ضارعة هي بمثابة خاتمة للنشيد(م—١٦).

ويرجع هذا النشيد بمصادره الى الاناجيل المقدسة ويضفي عليها الشاعر وحياً طلياً وسياقاً في العمل عذباً. ينبي الشاعر رومانس بعبقريته الخلاقة ولا يستسلم للحرف بل يعمل فيه خياله المبدع فيأخذ من الكتاب ومن الطبيعة لوحات ومشاهد تخلع على النشيد اهاباً من الجمال والروعة. هو لا يتقيد بحرفية الكتاب لكنه يحرك العمل بمهارة وحرية ويستخدم بعض الآيات من الكتاب المقدس التي يراها تبلغه انسجام الافكار وانسياق الحوادث بتكثير عميق وتأمل مع احساسات تنبع من جمال نفسه وينبوع وحيه وشعوره وخياله.

لم يبخل الشاعر علينا بصورة حقة عن المسيح الاله الانسان فهو منسجم مع تاريخ الالوهة المتجسدة التي ارادت ان تعطي البشرية صورة صحيحة عن الله. عن الاله الانسان: «يعتلي العرش في السماء والعشو على الارض» (مقدمة). وهذه الصورة تحل محل الصورة المشوهة عن الله في برجه العاجي. فالمسيح هو صورة الله في طبيعة ابناء البشر هو «اله — وانسان — سيد وخادم — مخلص ومصلوب».

لم يُكتب تناقض مثل هذا فالسيد المسيح يجمع بين النقيضين: السيادة من جهة والفقر والاتضاع والألم من جهة اخرى.

وفي النشيد يبين هذا المزيج من الالوهة والخضوع من الغنى والفقر. من العظمة والحقارة «هوذا ملكنا اللطيف الوديع يعلو صهوة عنو ويسرع لارتشاف الألم (م—٢) «ومن هو على اجنحة الشاروبيم يركب عفوًا (م—٢).

استعار المسيح مركب الصياد ليعظ الجماهير واستعار الخمس الخبزات والسمكتين ليشبع الجماهير الغفيرة وها هو يستعير العنو ليدخل المدينة.

وقد يحصل ان الله يستعيد كل ما يخص الانسان كانه يريد ان يفهمنا بأن كل الاشياء هي هبة من الله. ويكفي الناس الذين يعرفون الله ان يسمعوا بأن الله يحتاج اليهم حتى يلبوا ويعطوه كل شيء فيعرفون ان المسيح الاله الانسان: «انما صلب وحده كفارة عن الاطفال والشيوخ» (م—٢).

اننا نعجب من هذه الروح المهيمنة على المقطوعات في هذا النشيد فنحس بأن روح الله ينفح في هذه الابيات التي تعطينا صورة جميلة ولوحات بارزة عن الاله المتواضع وعن الحماس والروعة في الجماهير التي صرخت بقلب بريء وحنت الى يسوع «هوشعنا — خلص العالم» وعرفت ان خلاص البشر متوقف على المسيح وحده وهوشعنا هي صرخة الفرح والانتصار والمديح تجمعت في افواه الاطفال: «استقبلك الرضع باغصان الشجر ومجدوك كغالب صارخين «اوصنا لابن داود» (م—١).

مجدت الجماهير المخلص وعرفت فيه خلاص البشرية فوجهت له الهتافات والمدائح وكشفت فيه رسول الله للامم وقالت «مبارك الآتي باسم الرب لتبعث آدم» (م—١).

القلوب تنفتح والالسنة تندلع والجماهير تحتشد حول هذا الغالب الظافر فتهتف هتافات المجد: «اناشيد الاطفال وزمجة الجموع ترمز الى قوتك، فخلص ايها السيد هؤلاء الصارخين «اوصنا ...» (م—٨) وانتصار يسوع على الموت انتصار التواضع والحب انتصار الجودة انتصار روح الله الذي به ويوحيه يعمل «هؤلاء المتواضعين امامك: «اشفق علينا عاطفاً على الشعانين ولتكن الشعانين مستدرًا لحنانك.» (م—٨).

ويركب المسيح هذا الحيوان الاعجم لينجي الناطقين ابناء آدم: «الكلمة يمتطي الاعجم لينجي الناطقين فما أروعه منظرًا» ويرمز العفو الى

شعب الامم الذي بقي حتى ذاك اليوم بلا لجام بلا شريعة ولكنه سوف يأخذ لجام الشريعة ويكون آلة لانتصارات المسيح بدلا من الشعب اليهودي ويخدم احسن خدمة ملكوت يسوع الملك اللطيف الوديع . ويرمز الاتان الى الشعب اليهودي الذي تنكر لسيده . وبدل ان يحبه ويحترمه صلبه ، وابى ان ينشد مبارك انت الآتي لتبعث آدم » (م—٤) .

وبحق وجدارة يعد هذا النشيد بين روائع اناشيد رومانس لما فيه من روحانية مشرقة وخيال متفتح ومشاعر عميقة واتقان حيّ بحياة النبرات والمتافات المتجددة بكل لازمة من المقطوعات المترددة «مبارك انت الآتي لتبعث آدم » .

نشيد الشعانين[1]

للقديس رومانوس المرنّم

المقدمة

ايها المسيح الاله : المعتلي
العرش في السماء
والمغمور على الارض .
تقبل مديح الملائكة
ونشيد الاطفال
الهاتفين اليك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١ Ἔλλη Κ. Κυριακάκη
Ῥωμανοῦ Τοῦ Μελῴδου Ὕμνοι.
Τόμος Γ' Σελ. 187-205 Ἀθῆναι 1957

١ ــ قيّدت الجحيم وصرعتَ الموت
وانهضتَ العالم: ايها المسيح ،
فاستقبلك الرضع
باغصان الشجر
ومجدوك كغالب صارخين :
« اوصنا لابن داود »
وكانهم يقولون :
لن تذبح الاطفال من بعد
من اجل طفل مريم ،
انما ستصلب وحدك
كفارة عن جميع الاطفال
والشيوخ
ولن يقوى السيف
ان ينفصلنا عنك ،
بل سيطعن جنبك بحربة[1]
لذا نقول فرحين :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٢ ــ هوذا ملكنا اللطيف الوديع[2]
يعلو صهوة عفو
ويسرع لارتشاف الألم
لينتزع آلامنا .
الكلمة يتنطي الاعجم
لينجي الناطقين .
فما اروعه منظراً !
منْ هو على اجنحة الشاروبيم
يركب عفواً .
من وهب ايليا قديماً
مركبة من نار ليصعد بها[3] ،
يتلبس الفقر والضعة[4] .
من هو الغني من طبعه[5] ،
يرغب في الضعف..
من نفث القوة في البشر
فصرخوا قائلين :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) يو ١٩–٣٤
(٢) يو ١٢–١٥ زكريا ١٩–٩
(٣) سيراخ ٤٨–٩
(٤) ٢ كور ٨–٩
(٥) فيلبي ٤–٣–٠٠

٣ — مادت صهيون كلها
كما مادت مصر سابقاً :
هذه بأوثانها الجامدة
وتلك بابنائها الاحياء .
الكل ترنح لمقدمك .
ولم تضطرب انت ، ايها المخلص :
لانك زارع السلام .
وبما انك خالق الجميع
جردت الاعداء من سحرهم كله
وطردتهم من كل مكان .
لانك سائد على كل مكان .
قديماً انهارت اصنام الأمم
والآن جميع عبدتها
حطموا اوثانهم
حين سمعوا الاطفال
ينشدون :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٤ — « من هو هذا ؟ »
قال الذين تنكروا لك عمداً .
وقد قيل انهم لا يعرفون ابن داود .
ولا ذاك الذي حررهم
من الفساد[1] .
نزعوا عن لعازر أكفانه[2]
ولكنهم تجاهلوا باعثه من الموت .
وهؤلاء الذين رزحت اكتافهم
بجنازة ابن الارملة قديماً[3]
تنكروا لمن انتزعه من قبضة الردي
وهؤلاء الذين ما برحوا
بيت يائيروس[4]
رفضوا ان يتعرفوا
على من اعاد الحياة لابنته .
هؤلاء كلهم يعرفونك
ولكنهم يأبون ان ينشدوا لك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم »

(١) ٢ كور ١—١٠ روما ٨—٢١
(٢) يو ١١—٤٤
(٣) لوقا ٧—١١
(٤) متى ٩—١٨

٥ — هؤلاء الكنودون الانذال
تستروا بالجبل
لئلا يعرفوا من يريدون قتله .
وابناء الكذب والتلفيق
فقدوا الايمان !
فجاروا تاريخهم الاول
وهم الآن يجددون احداثه .
لقد اخرجهم موسى من مصر
فتنكروا له فوراً[1] .
والمسيح خلصهم من الموت
فتجاهلوه .
تجاهلوا موسى
من عرفوا العجل[2] ،
وانكروا المسيح
من هم أتباع بليعال
لذا لم يريدوا ان يهتفوا :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٦ — حيّاك الاطفال بالاغصان
ودعوك ابن داود :
وانهم لمصيبون
لانك ، ايها السيد ،
صرعت جوليات العقل العاتي .
النساء قديماً تأنقن
جوقة واحدة
وتغنين بداود الظافر قائلات :
« قتل شاول ألوفه
وداود ربواته »[3] .
شاول هو الشريعة
ومع داود نعمتك يا يسوعي[4]
الشريعة تعني شاول
الحسود الطاغية
والنعمة فرع من داود الطريق المشرد .
فانت ، ايها السيد ، رب داود[5]
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) خروج ٣—١٠
(٢) خروج ٣٢—١ و ٤
(٣) ١ ملوك ١٨—٦ و ٧
(٤) يو ١—١٧
(٥) متى ٢٢—٤٣ ولوقا ١٠—١٤

٧ — الشمس مركبة نور
فبي تخدمك وتذعن لامرك .
بما انك الاله الخالق .
أيستهويك الآن عفو ؟
فاسجد لحنوك .
قديماً وضعت في مذود
ولاجلي لففت بالاقماط ؛
وعلى ظهر العفو انت الآن
مع ان السماء عرش لك .
هناك احاطت الملائكة
بمغارتك .
وهنا قادت الرسلُ
عفوك
سابقاً سمعت
« المجد لله في العلى »[1]
والآن تسمع :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

٨ — باختيارك اختفاء
اظهرت قوتك .
صورة للفقر
ركوبك متن حمار .
وبما انك سيد مجيد
مادت صهيون .
ولئن كانت اردية الرسل
ترمز الى اتضاعك ؛
فاناشيد الاطفال
وزجة الجموع ترمز الى قوتك .
فخلص اذن ؛ ايها السيد :
هؤلاء الصارخين « اوصنا »
أنقذ ؛ ايها المتعالي ؛
هؤلاء المتواضعين امامك :
واشفق علينا عاطفاً على الشعانين
ولتكن الشعانين مستدراً لحنانك :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) لوقا ٢-١٤

٩ — ألزمنا آدم الدين
بأكله من الثمرة المحرمة[1] .
فغرّمنا نحن ذريته
اذ نفى ما عليه .
ولم يكتف الدائن
امتلاك المدين .
بل اثقل بالدين
بنيه .
واذ تقاضى الابُ
ديونه افرغ بيته ،
وطرد كل من فيه
الى الخارج .
ولذا نعوذ بك ؛
ايها القوي ،
لانك تعرف املاقنا .
اترك ديوننا .
فانت انت القوي :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٠ — اتيت تنقذ البشر كلهم
وزكريا نبيّك شاهد بهذا .
حين دعاك
« وديعاً وصديقاً ومخلصاً »[2] :
اما نحن فاضنانا التعب
وانهزمنا وتشتتنا هنا وهناك
فظننا ان امتلاك الشريعة
هو فداء لنا لكنها استعبدتنا .
وان الانبياء سوف يعتقوننا
ولكنهم ايضاً قضوا
حتى على الامل في قلوبنا .
ولهذا ترانا مع الاطفال الرضع
نضرع اليك ساجدين .
فاشفق علينا ولتكن شعانيننا
عربون حظوة في عينيك .
تنازل ، يا ربّ ، تنازل
وتقبل الصليب ومزق هذا الصك [3]
« فمبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) تكوين ٣—١٦
(٢) زكريا ٩—٩
(٣) كولسي ٢—١٤

١١ — اجاب الخالق خلائقه الخارجة :

يا جبلة يدي ، لما عرفت
ان الشريعة لا تقوى على خلاصك
اتيت بنفسي ،
اجل ان الشريعة لعاجزة
عن انقاذك لانها لم تبدعك .
والانبياء كذلك عاجزون
لانهم هم ايضاً من صنع يدي ،
كما انت ،
انما يبقى لي وحدي
ان اسدد ما ترزحين تحته
من ديون .
باعني الناس من اجلك فتحررت
صُلبت من اجلك فحييت انت

قضيتُ ميتاً
لأعلّمك ان تشيدي :
« مبارك انت الآتي :
لتبعث آدم » .

١٢ — اما احببت الملائكة ؟

ولكنني لم ابخل بهذا الحب
عليك فانت فقير معدم .
واخفيت جلالي
وانا الغني صرت فقيراً بملء اختياري
واحببتك كثيراً
جعت وعطشت في سبيلك
وتردّيت باطمار الفقر
وجبت الهضاب واللجج والأودية[1]
وانا ابحث عنك انت التائه المشرد[2]
ودعيتُ حمّلاً[3]
لكي افتنك بصوتي وانقذك
ومن اجلك اريد ان اجود بذاتي
لأنتزعك انا الراعي[4] من اشداق
الذئاب .
واني اتمم كل شيء
واريد منك ان تقولي :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

(١) حزقيال ٦—٣ ، ٣٦—٤٠ و٤٦—٦
(٢) متى ١٨—١٢
(٣) يونا ١—٢٩
(٤) يو ١١—١١

١٣ — الاقوال تعقبها الافعال .

وحين بلغ يسوع المدينة
حركت اناشيد الاطفال
ضغينة اعدائه كلهم .
فرفع ابصاره
وصبها على صهيون
وتنهج عليها وقال :
« ولولي ، يا اورشليم :
لانك وجدت اطفالك
وابناءك معلمين للاباء
وانك لتباهين بالشر والخبث
واما الى الخير
فتجرين شيخوختك جرًا .
انهم لافضل منك
هؤلاء المنشدون لي :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٤ — سأدخلك عن قريب :

يا اورشليم : بعد ان هجرتك حينا.
انا لا ابغضك
وانما انت لا تنفكين تقابليني
بالبغض انا واتباعي .
وعلامَ ابناؤك
يعدّون لي صليبا ؟
أليس بالعصا فلقت أمامهم
البحر كثيب[1] ؟
انهم يحفرون لي لحدًا
بدل مكافأتي ،
لاني بسطت غماماً سترًا لهم[2] .
اني لاهتز طرباً
فانا لاجلهم اتيت .
انا اعشق الأمم وأهوى الخاطئ
الساقط
حتى ينشد محبيّ :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم ! » .

(١) خروج ١٤–١٦ نحميا ٩–١١ (٢) مزمور ١٠٤–٣٩

١٥ — من يرى اعماق القلوب
وبخ اورشليم البطيئة الفهم .
والكاهن الاعظم دخل الهيكل
مع جميع الاطفال .
والابن الوحيد
خشى بيت ابيه
وطرد منه من كانوا فيه
يبيعون ويشترون فقال :
لا يبقى منكم احد هنا ،
لاني انا والاب وروحي القدوس
سوف نمر معاً من هنا .
الآن وجدنا قصراً
في قلوب الودعاء
المنشدين في
باصواتهم وايمانهم :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

١٦ — يا ابن الله القدوس :
أحصنا في عداد مسبحيك
وتقبل صلاة خدامك
كما تقبلت صلاة الاطفال قديماً .
اشفق على من خلقت
وعلى من احببت
عندما حللت في ارضنا .
امنح السلام لكنائسك
التي عكرت الاعداء سلامها .
واعطني انا ايضاً اعطني
يامخلص . صفحاً عن خطاياي
هبني : يا امي ، ان انطق بما تشاء
وابعد الكآبة عني
لكي لا تثقل روحي :
واظهرني مثقلاً بالثمار
وجديراً بان اقول :
« مبارك انت الآتي
لتبعث آدم » .

المونسنيور يوحنا رزق

١٨٧٠ — ١٩٤٥

بقلم جرجي ابرهيم نصر

درجت الأمم وتبارت الشعوب المتمدّنة على تكريم أدبائها وعظمائها ونوابغها بُنَاة الحضارة الأدبية باقامة الحفلات والإشادة بهم في الكتب والصحف احياءً لذكراهم ، وتشجيعاً للناشئين للنسج على منوالهم وترسّم خُطاهم .

في الأمس القريب طوى الموت في لبنان صفحةً نيّرةً من صفحات أعلام الفكر والأدب ، وغيّب صورةً لبنانيةً جميلةً تألّق نورها في اوائل عصر النهضة الفكرية ، ولم يكُ هذا النبراس المضيء محظوظاً في حياته ولا في مماته ، فلم ينبر قلم لرثائه ، ولا فطن مؤرّخ الى تخليد أعماله وآثاره على ما كان به من وطنية متّقدة وغيرة على النهوض بلبنان الحديث وتهيئة السبل لسعادته ورفاهه ، فرأيت أن أزيح ستول النسيان عن تلك الشخصية الكريمة ، عملاً بواجب مفروض على المواطنين الباقين حيال رجالاتهم الغابرين ، عنيت بهذه الصورة الجميلة رجل الله البار المتضال .

المونسنيور يوحنا رزق

كان رحمه الله كاهنا فاضلاً وأديباً كبيراً وخطيباً مفوّهاً ، جمع بين سعة الاطلاع ، وفلسفة الحياة ، وعمق التفكير ، وبين بلاغة القول وحسن الأداء .

كان قبل سيامته كاهناً يُطلق عليه اسم صالح — وكان أبوه المعلم يوسف صالح رزق (١٨٣١—١٩١٦) ووالدته ملكة مبارك رزق (١٨٤٠—١٩٢٠) . — أبصر النور في جزين في ٣ شباط سنة ١٨٧٠ واقتبل سرّ العماد المقدس من يد نسيبه الخوري مخايل رزق ، ثم تلقّى علومه الابتدائية في مدرسة ماري يوسف جزين التي هي وقف على أسرته ، على يد الخوري يوسف الطنب ، فظهرت عليه سمات النباهة والذكاء ، وكان من المجلّين بين أقرانه.

وفي سنة ١٨٩٠ دخل مدرسة مار عبدا هرهريّا على زمن الخوري يوسف آصاف ، وسيم كاهناً من يد المطران بولس مسعد ١٨٩٢ .

ثم عاد الى جزين فدرس اللاهوت على المخوري يوسف الطنب ؛ ثم علّم الصرف والنحو والبيان في مدرستي قرنة شهوان وماري يوسف جزين.

وفي سنة ١٨٩٨ أوفده المطران بطرس البستاني مرسلاً ماروناياً الى المكسيك ليتفقّد فيها شؤون الرعيّة . فشخص الى تلك البلاد في أوائل هجرة اللبنانيين. فوقف على أحوالهم وشدّد عزائمهم ؛ وعمل على جمع كلمتهم ؛ ثم انصرف الى درس اللغة الاسبانية فبرع فيها وأجاد حتى أصبح ببرهة وجيزة يخطب فيها كأحد أبنائها المجيدين.

وفي سنة ١٩٠٠ منحه المجمع المقدس لنشر الإيمان ، لقب مرسل رسولي ؛ وسنة ١٩٠٣ نال لقب مونسنيور مع رتبة حبر روماني.

وفي سنة ١٩٠٥ اختاره أسقف « شيواوا » في المكسيك المطران « نيقولا بكافيلاس » نائباً عاماً في أبرشيته اللاتينية ؛ فخدمها سبع سنوات ، وتعمّق في اللغة اللاتينية . ومن غيرته الرسولية تأسيسه ميتماً لأبناء العمّال . ومطبعة كاثوليكية كانت تنشر المطبوعات الدينية.

وفي سنة ١٩١٠ نشبت ثورة في المكسيك كان هدفها ، نزع الحكم من يد الحاكم « بورفيرو دياز » فأنشأ المونسنيور رزق جريدة باللغة الاسبانية دعاها « مكسيكو » ضمّنها مقالات نفيسة ، تحدث فيها عن أضرار الثورات في البلاد بأسلوب رفيع اتّسم بالحكمة. والحصافة وبُعد النظر ، وتناول فيها حضارة العرب وأمجادهم المطويّة ؛ ولمّا نجحت الثورة اضطرّ الى مغادرة البلاد ، فسافر الى فرنسا وبقي في باريس ستة أشهر ومنها أبحر الى ايطاليا فنزل في دير الآباء الحلبيين الموارنة ثم في دير مار اشعيا للرهبان الأنطونيين؛ وفي تلك المدة كان يتردّد على الكلّية الغريغورية ويراجع الحقوق الكنسية.

وفي سنة ١٩١٢ عاد الى جزين وانصرف الى خدمة النفوس ومساعدة القريب والعطف على الضعيف والكتابة في مختلف الحقول ، ودرس حالة لبنان تمهيداً لإنشاء مشاريع عمرانية إلاّ أن الحالة الدولية التي اضطربت آنذاك لم تترك له مجالا لتنفيذ مشاريعه.

ولمّا نشبت الحرب الكونيّة (١٩١٤ــ١٩١٨) سافر الى باريس وتطوّع في مؤسّسة الصليب الأحمر الفرنسي ؛ فبقي طوال مدة الحرب مرشداً روحياً لها ، فأسدى للانسانية المتألّمة أجلّ الخدمات ، وعاد الى وطنه لبنان سنة ١٩١٩ بعد أن وضعت الحرب أوزارها؛ فأقبل على الكتابة تأليفاً وترجمةً ، وعلى تحقيق بعض منجزات عمرانية ومشاريع وطنية، منها إنشاؤه فندق الشالوف في جزين تعزيزاً للسياحة التي كان يرى فيها أوسع الرزق للبنان.

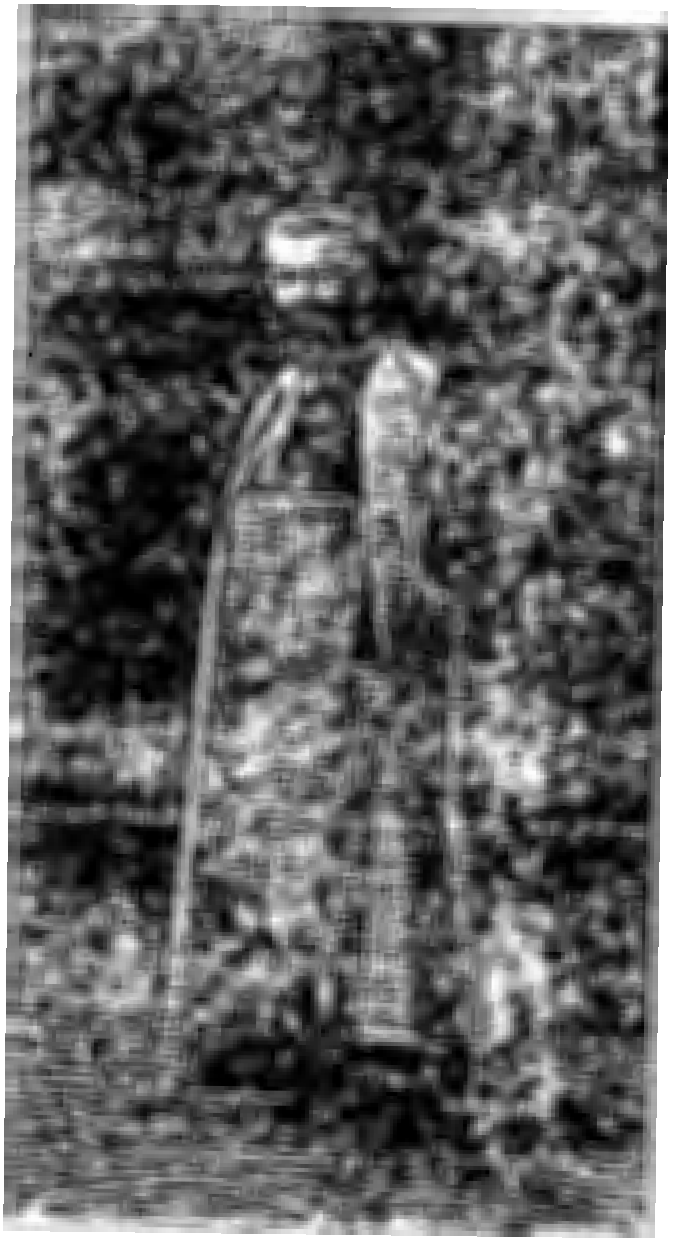

المونسنيور يوحنا رزق الجزيني

١٨٧٠ – ١٩٤٥

وفي ٢ ايار سنة ١٩٢٦ أنشأ في جزين جريدة « الشلال » غايتها الخاصة كانت تنشيط الاصطياف في ربوع لبنان فضلاً عمّا كان ينشر فيها من الأبحاث القيمة في الأدب والتاريخ والسياسة ، فعاشت زهاء سنتين ثم احتجبت عن الظهور .

آثاره الأدبية : ١ً ــ الجلاء المسيحي : ترجمه من الفرنسية الى العربية ونشره بالطبع سنة ١٩٠٠ بعيداً عن وطنه في المهجر وهذا المؤلف هو الجزء الاول من كتاب للمونسنيور ايجانيوس كوليه رئيس اساقفة رمس في فرنسا وقد ذكرته مجلة « المشرق » ٣ : ٤٧٥ .

٢ً ــ النفائس : كتاب يتضمن كلمات تاريخية وسياسية واجتماعية طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٣ .

٣ً ــ تاريخ الحرب الكبرى : الأصل الفرنسي لفيكتور جيرو وقد أشفعه المترجم بملحق لتاريخ الحرب الكبرى في لبنان وقد سرد فيه الحوادث المؤلمة التي وقعت في لبنان واشترك فيه مع الترك الطغاة ، كثير من اعيان اللبنانيين ووجهائهم يوم احتكروا الأقوات وأجاعوا الشعب وأذلّوه ، طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩٣٤ .

وأنجز مخطوطة ضد الماسونية تقع في مايتي صفحة . ودوّن مجموعة من رسائله وتقاريره ومواعظه لا نعرف عن مصيرهما شيئاً بعد وفاته ، ونشر مقالات كثيرة في مواضيع مختلفة على صفحات الجرائد والمجلّات .

اللغات التي كان يجيدها : كان رحمه الله يجيد من اللغات : العربية والفرنسية والأسبانية واللاتينية والايطالية ، وكان لإلمامه باللغات الأثر البعيد في تطوّر تفكيره ، واشراق نفسه ، فكان حديثه عن الشعوب التي أجاد لغاتها ، حديث العالم الخبير بتطوّر مدنيّتها وثقافتها ونبضة شعوبها وعاداتها وقوانينها .

وطنيته : كان وطنياً حميماً يتغنّى بمجد لبنان ، ويدعو الى المحافظة على استقلاله ورفع كلمته والتمسّك بأخلاق قومه وعاداتهم الحميدة ، يلتهب غيرة على إنشاء المشاريع العمرانية ، وتعزيز الثقافة ونشر العلم في أرجاء لبنان حتى يظلّ موطناً للفكر والرقيّ والإشعاع ، كما كان وفياً مخلصاً لرجال الدين وأرباب الفضيلة والعلم ، وكان بينه وبين الطيّب الذكر المرحوم الأباتي لويس عيد الأنطوني البعبداتي ، صلات ودّ وصداقة ، وقد وصفه بعد مماته بقوله :

« كان مملوءاً غيرة وشهامة ، ومندفعاً بكل ما يعود على الطائفة بالخير ،

ولم يقدّروه قدره إلاّ بعد وفاته ، عملاً بالآية القائلة : الصدّيق يعيش مهاناً . ويموت مكرّماً ، ويظلّ قبره ممجّداً » .

وكان جسوراً مهيباً ، وقوراً ، خفيف الظلّ ، عفيفاً ، متواضعاً ، أنيس المجلس ، عذب الحديث ، وكان يحذّر الحاكمين من ارتكاب المظالم والعناية بأمور لبنان وتعيين موارده وضبط ادارته ويدعوهم الى العطف على الرعيّة والسهر على راحتها ، والعناية بشؤونها وتخفيض الضرائب ، برسائل تنطوي على الحكمة وسداد الرأي ، ومن تلك الرسائل التي عثرنا عليها ، رسالتان : الاولى الى الكونت دي مارتيل المفوض السامي للدولة المنتدبة وقتذاك ، وقد عدّد له فيها أعمال كل من أسلافه ، وناشده أن يوجد الحلول التي توافق كيان لبنان وتأمين رفاهية شعبه وتصغير هيكل الحكومة ، والرسالة الثانية الى الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية يطلب منه ان ترصد وزارة الصحة والاسعاف العام في ميزانيتها اعتماداً لستّة أسرّة مجانية لفقراء قضاء جزين ، وممّا جاء في هذه الرسالة قوله :

« ان الكاهن الذي لا يهتم بفقراء رعيّته ، هو بئس الكاهن ، ومثله الحاكم ، ان الحكومة الانكليزية في فلسطين قد جنّفت عشرات الكيلومترات وأنشأت عشرات المصحّات والمستشفيات محافظة على الصحة العامة في بلد كان مقبرةً لساكنيه ، أمّا الآن فبفضل هذا التدبير أضحى بلداً صحّياً . فاعطف على الفقراء تكسب قلوب الجميع ، لأن الإكثار من المؤسّسات الصحّية في بلد ، هو أكبر دليل على مدنيّته ورقيّه وأعظم محبّب للشعب بحكومته » .

وبعد أن جاهد جهاداً حسناً في كرم الرب ، أصيب برجفة عصبية خطيرة لازمته حتى وفاته . فلم تفتر له عزيمة ، ولا فارقه حبّه للكتابة ولنفع الناس ، بل كان يستعين على الكتابة بأنسبائه وأخصائه ، ويملي عليهم رسائله ، فممّن أملى عليهم المؤرخ الأب يوسف أبي نادر الأنطوني الجزّيني الذي عُني بأموره الروحية في آخر أيامه ، فوقف على أدوار حياته ، وتعرّف عن كثب ، الى روحه المسيحية وأخلاقه العالية .

وقد لفظ أنفاسه الأخيرة في داره في جزين يوم الثلاثاء ١٩ حزيران سنة ١٩٤٥ فذهب مأسوفاً على مبرّاته وأخلاقه وعلمه وجهاده ، ودُفن باكرام في مدفن كنيسة مارى يوسف في جزين التي هي وقف أسرته تغمّده الله برحمته ورضوانه .

بكاسين جرجي ابرهيم نصر

خليل يوسف نصر

١٨٩٢ — ١٩٥٤

بقلم جرجي ابرهيم نصر

كان كاتباً أديباً وشاعراً رقيقاً وصحفياً واسع الأفق. أبصر النور في بكاسين في ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢ من والدين هما: يوسف بن شاهين بطرس عبّود مسعد سمعان أبو رعد نصر واميلي ابنة مارون شاهين مارون مخول شربل نصر، ونشأ وترعرع في كنفيهما مشمولاً بالرعاية والحنان، وتلقّى مبادئ العلوم في وطنه وأتمّها في مدرسة قرنة شهوان فكان من المجلّين. وانصرف الى تدريس الناشئة مدةً وجيزة، فغرس في نفوس الطلاب حبّ العلم ومحبة الوطن والتمسّك باهداب الدين.

وفي اوائل سنة ١٩١٢ هاجر الى مكسيك حيث زاول التجارة ردحاً من الزمن ولم تحُل أعماله التجارية دون متابعته رسالته الأدبية.

فان اللبنانيّ مهما طالت غربته عن وطنه، ومهما بلغ من الجاه وأدركه من الثراء في دار غربته، فانه لا يزال دائب الحنين، دائم الشوق الى مسرح خياله ومثوى آبائه، تراوده أحلام العودة، وتساوره ذكريات الطفولة والشباب، فهو يتمنّى لو ضُمّ رفاته الى تراب أجداده ومواطنيه، وحبيهات أن تتحقّق أحلام الكثير من هؤلاء النازحين، فيقضون أسًى وضنىً في دار الغربة، ومن هؤلاء المغتربين هذا الأديب اللبناني المفمور الذي ركب متن الاغتراب فتياً وجاهد في الحياة جهاداً مستمراً، واحترف الأدب في دار هجرته، فأنشأ مع زميله الاستاذ داود سليم الشرتوني جريدة «الفرائد»

في مكسيك بعد أن اشتريا امتيازها من صاحبها الشيخ ناصيف النقل سنة ١٩٤٥ وتابعا السير على منهجه في بعث التراث العربي الدفين ، ونشر الأبحاث الأدبية ومعالجة القضايا العربية الوطنية ، وخدمة الجالية اللبنانية : وقد بذلا تضحيات وجهوداً لرفع مستواها الصحفي في مجالات مختلفة من مجالي الأدب والفكر . وقد تفرّد « الخليل » بنشر مقالات أدبية ، وسياسية ، واجتماعية ، ووطنية . عالج بها ضرورة تعليم أبناء الجالية اللبنانية في مكسيك لغة آبائهم وأجدادهم ، وحثّهم على زيارة وطنهم الأول لبنان . لكي تنطبع آثاره وحضارته في أذهانهم ، وحتى تظلّ الصلة مربوطة بينهم وبين الوطن الأول وحتى لا تنقطع هذه الرابطة باندثار آبائهم .

ثم أنشأ مجلة « لبنان » باللغتين العربية والاسبانية ، وكانت الغاية من إنشائها تعريف الأجانب الى تاريخ لبنان وحضارته وأمجاده عبر العصور ، وقد كتب فيها بحوثاً نافعة ومفيدة عالجها بتؤدة وحكمة وبُعد نظر .

وحسبه فخراً أنه في الآونة الأخيرة من حياته وجّه اهتمامه الى تدوين تاريخ الهجرة اللبنانية والسورية والفلسطينية الى مكسيك بالاشتراك مع زميله الاستاذ سليم عبّود فجاء الكتاب في مجلّد ضخم نافع دلّ على مدى جهادهما وتضحيتهما .

مرضه ووفاته : وقد أصيب رحمه الله نتيجة لمجهوده وإرهاقه بعلّة قلبية حادة لازمته طويلاً وبرّحت به أشد التبريح وألزمته الفراش زمناً فعانى من جرّائها آلاماً استنزفت قوّته وماله .

وهكذا ظلّ هذا اللبناني المجاهد يناضل في ميدان الأدب والفكر ويؤدّي رسالته الأدبية حتى أدركته الوفاة صباح الاثنين في ١٠ من ايار سنة ١٩٥٤ في مكسيك فخسر لبنان بفقده إبناً باراً ووطنياً صادقاً وصحافياً قديراً قضى حياته في خدمة وطنه ولغته .

وقد هرع أبناء الجالية اللبنانية الى داره يؤاسون أسرته ويشاطرونها اللوعة والأسى وكان في مقدّمة المعزّين حينذاك الوزير المفوض الشيخ خليل تقي الدين وأركان المفوضية ووجهاء الجالية يتقبلون التعازي ، وشيّع جثمانه الى وكالة دفن الموتى التي غصّت بالمشيّعين وغمرت بعثات الأكاليل ، وهناك صلّى على جثمانه لفيف من الاكليروس الموقّر برئاسة الخوري بطرس القهوجي الذي القى بعد الانجيل المقدس تأبيناً بليغاً مبيّناً عظم الخسارة

التي تحلّ بالجالية اللبنانية منوّهاً بالخدمات الجليلة التي أسداها لوطنه لبنان وابنائه المقيمين والمغتربين .

وبعد الجناز نُقل الجثمان الى المدفن الاسباني في موكب مهيب حيث روري في الثرى بين الزفرات والعبرات وتوالى المؤبنون في تعداد مناقبه فوفوه حقّه من الثناء .

وقد نعته الصحافة العربية والمكسيكية مبديةً أسفها على فقده وعددت مناقبه ، ومكارم اخلاقه ، وما اتصف به من نبل وكرم وأدب وعلم ، وقد نشرت الجرائد الكثير من المراثي التي قيلت فيه .

وتلقيتُ نعيه بسيل من العبرات وسلسلة من الزفرات ، وحفظتُ له على مدى الأيام طيب المودّة وأجمل الذكريات . وآليتُ على نفسي أن أسجّل الى الناطقين بالضاد ، آثار فضله وأدبه وغيرته على لبنان وأبنائه ، فرثيته بقصيدة مطوّلة أختار منها هذه الأبيات :

حيٌّ بذكرك والحياة تزول ... ونضيرُ فضلك ما عراه ذبولُ
قد راعني الخطبُ الأليم ووقعه ... فعرا فؤادي رعشةٌ وذهول
ماذا أقول وخطبك الدامي حنى ... ظهري ، وإني بالجوى مكبول
أعليتَ شأناً للصحافة عالياً ... بمباحث هي للخلود كفيل
درر بأنفاس الخلود تعطّرت ... ولها من الحلل اللطاف ذيول
خلّدتَ ذكرك في المآثر والنهى ... يفنى الورى والذكرُ ليس يزول
ووهبت روحك للبلاد مجاهداً ... وبك المواطن في النضال تصول
وتركتَ ذكراً خالداً متألقاً ... بسنى المحاسن ما عراه أفول
ورفعت للعرب الكرام معالماً ... ما إن لها بعد النهوض خمول
ما مرّ ذكرك في فؤادي مرّةً ... إلاّ تولاني أسىً ونحول
ماذا أعدّد من مآثرك التي ... هي بالحقيقة للكرام سبيل
فلئن طواكَ الموتُ في جوف الثرى ... فلك القلوبُ منازلٌ وطلول
فالمرء يُطوى والحياة قصيرةٌ ... عمرٌ بأثقال الهموم يطول

ما همّه لو عاد يوماً للحمى ... ورأته مُردٌ في الحمى وكهول
لرأى الحواجبَ في الرياض نواحلاً ... للقلّ والنسرين منه عويل

ولقد قضى في غربة شوقاً الى ... وطنٍ وجفنُ الشعر منه كحيل
تاحتْ حمامةُ اللوى في يومه ... والدمعُ من فوق الخدود همول
فلئن قضى فله القلوبُ مضاجعٌ ... وله الكرامة والسنا إكليل
والذكرُ باقٍ والجفونُ قريحة ... ولكلّ حيٍّ للمقام رحيل

وكان بيني وبينه رسائل تفيض شوقاً وحنيناً الى هذا الجبل الغنيّ برجاله وجماله الذي لا ينساه ابناؤه مهما شطّ المزار وبعُدت الدار على حدّ قول شاعرنا اللبناني الكبير المرحوم الاستاذ بولس غانم :

وكيف تنسى ظباء البرّ موردها ... وكيف تسلو طيور الجوّ أوكارا

كما كانت له مساجلات شعرية ، مليئة بذكريات صباه وملاعب شبابه ومراتعَ أخدانه ، ومن هذه المساجلات قصيدة بعث بها إليّ قبل وفاته بقليل . وقد غمس قلمه بدمه ليخطّ حروفها ، وكأنه رحمه الله كان يتوقّع أن يلبّي داعيَ ربّه في دار غربته : وقد أرسل اليّ الأبيات الآتية وهي آخر ما خطّه قلمه :

أمذكريّ زمنَ الصبا ... والعيشَ في دار السرور
حيث البلابل أنشدت ... للفجر الحان الدهورّ
سكرت بخمرة مائه ... متدفّقاً بين الصخور
وشذا خمائله نمتْ ... ما بين أوكار النسور
وتذيع أرزته لعصر ال ... نور تاريخ العصور
وربى شوامخه تعير ال ... حسن ربّات الخدور
لبستْ عذارى الحيّ من ... ثلج الربى بيض الحبور

○

أبناؤه نشروا الحضا ... رة بالصليل وبالصرير
فتحوا المشارق والمغا ... ربَ واعتلوا متن البحور

○

يا باعثاً أشواقه ... تارًا تجلتْ في السطور
حبًّا مقيماً في الضلو ... ع ، ونازلاً طيّ الصدور
ذكراك رائعة الشذا ... عبقتْ بأنواع العبير

أترى تعودُ الى الحمى ونرى الأحبّة في حبور ؟
مهد الطفولة ذكره في خاطري مثل العطور
تشدو على أفنانه في الصبح اسراب الطيور
انشودة الصبح الجميل وبسمة الفجر الطهور

٥

وطني الصغير بحسنه يُنبي عن الوطن الكبير
حيث الصنوبر مرسلٌ خضر الذوائب كالشعور
كم ذا هززتُ بذكره عند العشيّة والبكور
وذكرت ايام الصبا في المهد والكوخ الحقير
وكأنّ أصعدُ في بعيد الـ ارض انات السعير
شوقاً الى لبنان حيّاً أو رميماً في القبور .

وقد رددت عليه بالأبيات التالية :

تشتاق روحُك للربى شوقَ العطاش الى الغدير
حيث الغصون ترنّحت طرباً على رقص الطيور
والروض أسكره مزيج الـ ظلّ بالماء النمير
والزهر ينبعث نشره من كلّ فوّاح العبير
وتودّ ان تحتلّ دا رك عند اوكار النور
ما بين خافقة القلوب وبين باسمة الثغور
لا في القصور الشاهقات ولا الخورنق والسدير
بل ظلّ بيتٍ رافلاً بالرغد في الكوخ الحقير

٥

ضاقتك بهمّتك الـ رواحل فاعتليت على البحور
يا شعلةً من همّة ثارت بنفسك كالسعير
فهبيتَ للعلياء تقفي الـ عزّ للأمر الخطير
حرّكْ مُناكَ فإنها فيها الشفاء من البثور
فاذا بعدتَ عن العرين فأنتَ باقٍ في الضمير

واجعلْ قريضَك بلسم الـ ـداء العياء على الدهور
عش بالرجاء فإنّ في معنى الرجاء شفا الصدور
حنّت اليك ربوعنا كالأم للولد الأسير

=

تشتاق روحك غفوةً بين الخمائل والزهور
فاذا هجعتَ فأنت بين الـ ـناس عارٍ من شعور
إنّا نريدك باعثاً موتى الشعور الى النشور
بديع آيٍ من نظيمك أو بديعٍ من نثير
تجني وتَجمعُ ما جنيتَ كمثل نحلٍ في التفير
وتعود يلقاك الحمى وبنوه طرًّا بالحبور

نماذج من نثره : ويطيب لنا أن ننشر بضع قطع من نثره نقتطفها من رسائل كتبها لي فيها نفحات عاطرة من الشعور الصادق ، وتوهّج العاطفة ، وشدّة اللوعة وحرارة الوطنية مما يهزّ النفوس ، ويذكي الفؤاد ، نقتطف منها ما يلي : وهذه واحدة منها تاريخ ١١ نيسان سنة ١٩٤٧

ابن العم الحبيب جرجي حفظه الله

كما تقتبل الأرض العطشى وابل الأمطار فتحيي غرسها ، وتنمي أشجارها ، وتنضج ثمارها ، هكذا كان وقع كتابك الأنيس المؤرخ في اليوم الأول من الجاري على عواطفي وأشواقي وحنيني .

لقد عادت بي الذكرى الى ايام الصبا ، الى البلدة الجميلة المحبوبة بكاسين ، حيث دببتُ على أرضها اليانعة صغيرًا ، وتلقّتْ روابيها الساحرة يافعاً — ذكرتُ آلافاً من الذكريات العذبة — وأول ما جال في خاطري هو زفاف والديك حيث برزتُ للرقص مع الراقصين لأول مرة : فهل ما يزالان حيّين ؟ وهذا كل ما اتمنّاه .

ثناؤك على (الفرائد) ليس الاّ ثناءك على نفسك ، لأنها جريدتك واؤمل ان تكون في المستقبل ميداناً لعرائس أفكارك ولعبقرية الشاعر الفذّ الصديق الاستاذ بولس بك غانم ومسرحاً لشيطان شاعرية رفيق الصبا الاستاذ سليم عواد ، بلّغ الاثنين أرقّ تحياتي وأذكى شواعري .

الاستاذ خليل يوسف نصر

١٨٩٠ - ١٩٥٤

لا أستطيع لضيق الوقت أن اكتب مطوّلا عن خطّة (الشرائد) في المستقبل وما تعانيه من قحط في المواد والمادة ؛ لأنني مزمع أن استقلّ الطائرة نهار الغد الى جنوب البلاد لإتمام العمل الذي أخذته على عاتقي ألا وهو احصاء عدد نفوس اللبنانيين والناطقين بالضاد المقيمين في جميع انحاء الجمهورية المكسيكية ؛ وعندما يتبادر الى ذهنك ان مساحة أرض مكسيك تبلغ ما يقارب المليونين من الكيلومترات المربّعة ، تدرك عندئذ ما ألاقيه في أسفاري من مشقّات ومتاعب ، لم يبق لانتهاء العمل سوى اربع ولايات لا غير ؛ وسأنتهي من الاحصاء بعد شهرين ان شاء الله ؛ وبعد عودتي سأكتب اليك بخصوص الجريدة وعن الخطة التي سأنتهجها فيما بعد .

لقد أخذتُ منذ عهد طويل رسالة من بلبل المنابر الاستاذ بولس بك غانم أثنى بها عليك ثناءً عاطرًا وبشّرني بمستقبل لك باهر ؛ فسررت بما أنتَ عليه من مقام ادبي رفيع ؛ وممّا قاله لي اننا اخوان تربطنا روابط الدم والأدب .

وفي الختام اصافحك وابعث اليك بتحيّات أرقّ من نسيم صنوبر بكاسين ؛ طالباً لك التوفيق ورغادة العيش .

ابن عمك خليل نصر

وهذه ثانية من رسائله يهزّه فيها الحزن والألم ويطلق زفرات حادة اذ بلغه نعي خاله في الوطن ، فيتذكّر أباه وأمّه وأخاه الذين فقدهم إبّان الحرب العالمية الأولى ، وقد أثّرت في نفسه هذه الاحداث الموجعة وانطبعت في أعماقه هذه الصور المحزنة واللوعة المحرقة والعواطف النفسية العميقة فيقول في رسالته تاريخ ١٦ آذار سنة ١٩٥٠ .

ابن العم الحبيب جرجي حفظه الباري

... كنت كلما أود ان اجاوبك على كتابك الذي حمل اليّ وفاة المرحوم خالي يوسف ، طيّب الله ثراه ، ترتجف أناملي ويتولاني التنوط ، ويستحوذ على نفسي اليأس ، وتحول العبرات دون املاء العبارات ، لأنه كان ، رحمة الله عليه ، كل ما بقي لي في هذه الحياة من أمل ، فبفقده فقدتُ لذاذة العيش والحناءة معاً ولا سيما قد فقدت قبلاً والديّ وأعزّ انسبائي ولم اتمكّن أن أكون بجانب أحدهم ساعة الاحتضار لأطبق جفنيه .

فيا لله ما اقسى الحياة وأمرّ الفرقة . ثمانية وثلاثون عاماً تمرّ دون ان تمكنّي الأحوال في خلالها من العودة الى البلد الطيّب الذي دببتُ على أرضه: وشربتُ غزير مائه : وتفيّأت ظلال أشجاره، وأكلت يانع ثماره .

يا عزيزي جرجي لقد ذهب الشباب وسيذهب المشيب قريباً ، وها قد امست شمس الحياة على وشك الأفول : ولا أمل بالعودة الى الوطن الأم لإلقاء آخر نظرة على ربوعه الخلابة : ووضع اكليل من الزهر على ضريح من رقدوا تحت التراب ، الذي ولا شك ترمقنا عيونهم من وراء حجاب الأبدية : كل هذه الذكريات المؤثرة كانت تمرّ بمخيلتي ، فتقلق راحتي : فينقبض قلبي من الكآبة وقلمي عن الكتابة ، اصافحك وأدعو لك بالتوفيق.

ابن عمك خليل نصر

وهذه ثالثة تنضح بالأنين وترتسم فيها معاني الحزن والأسى العميق على أثر اصابته بداء القلب ، تاريخ ٢٧ حزيران سنة ١٩٥٢ وفيها يقول :

ابن العم العزيز جرجي حرسه الله

أصافحك بكل شوق وأتمنى لك ولى الأسرة الكريمة خير التمنّيات ورغد العيش ، إن انقطاع كتبي عنك كان ناتجاً عن مرض عضال ألمّ بي منذ سنة ونصف ونيّف ألا وهو ذبحة في الصدر وضيق تنفّس ، وقد تحمّلت اوجاعاً موئلة مما أزال في الفراش باشعار من الطبيب ، الاّ ان افكاري كانت عندك وذكرك العطر ملء خاطري : اضمك الى صدري ولو عن بُعد معانقاً اياك حفظك الله طويلاً .

خليل

وهذه رابعة من رسائله يتألم فيها لعادات البشر واخلاقهم الذين يطربون لوداع عام مضى واستقبال عام أتى وهم يجهلون انه عام مضى من حياتهم فيقول :

عزيزي جرجي

بينما نحن باجتماع عائلي مع بعض الأقارب والأصدقاء منتظرين قدوم العام الجديد ، اذا بعقرب الساعة يدقّ الثانية عشرة ، مبشّراً بزوغ العام الجديد ، فوقف القوم بعد أن اخذتهم نشوة الطرب ، شربوا الكؤوس حتى الثمالة ، يدقّون الكأس بالكأس ويشربون الأنخاب ، وهم في هزج وطرب،

يودّعون عاماً مضى ويستقبلون عاماً أتى ؛ وقفتُ مع مَن وقف ؛ وفي العين دمعة وفي القلب حسرة ؛ وشربتُ ما حوته تلك الكأس .

وتركتُ الناس وشأنهم ، وانزويتُ في غرفتي أتأمّل عادات البشر الذين يطربون لعام مضى من حياتهم ، الذي يبعدهم عن المهد ويقرّبهم من اللحد ، فهم كالقرود يلحسون المبرد ويتغذّون من دمائهم ؛ لكن هذه سنّة البشر .

معايدتي اليك جاءت متأخرة ولكنها كالخمرة المعتّقة كلما طال عهدها لذّ طعمها ، وفقّك الله ابداً معافى .

خليل

وهذه خامسة من رسائله تاريخ ١٠ آذار سنة ١٩٥٤ يخنق فيها قلبه بحبّ الوطن وبالحنين الى لبنان ، مهد أحلامه ومسرح صباه فيقول :

جواباً عن رسالتكم المضمّخة بعبير لبنان وأرزه الخالد ، لقد ذكّرتني يا عزيزي جورج بلبنان وطني المحبوب ، فهو لوحة من جنان الخلد ، وحلية من حُلى الطبيعة ، فحنيني اليه حنين الساجعات الى وكناتها ، وحنين القطيم الى لبان المرضعات ، بل شوقي الى هوائه ومائه كشوق الظامئ الى نمير الماء أو العليل الى البُرء والشفاء .

طافت في مخيّلتي ذكريات دفينة عابقة بأريج عطر الوزّال والشيح والشربين والصنوبر ، فأخذتني نشوة ما لبثت ان اضمحلّت كالضباب الذي تبدّده الرياح وتذريه العواصف ، وقد كشفت لي عن أسرار الحياة ، ومعاني الوجود ، وقسوة الدهر وغدره .

لبنان درّة المشرقين ، وتاج مرصّع باللآلئ ، وغرّة على جبين الزمن ، نثر جماله على الكون فتألّق نوره وضياؤه . من أرضه تفجّرت الحكمة والمعرفة ، ومن حسنه استوحى الشعراء والمفكّرون لوحات روائعهم وبدائعهم ، وبأرضه انتصبت هياكل بعلبك فكانت احدى معجزات الفن ، ومن خشب أرزه بنى سليمان الحكيم هيكله العظيم ، وعلى شواطئه بنى الفينيقيّون السفن التي مخرت عباب اليم وانطلقت حاملة البلع والنسيج الى أقاصي الأرض بعد أن خبروا فنون الملاحة واكتشفوا نجمة القطب ، فاهتدوا بها في أسفارهم ، وقد بنوا المدن وأقاموا فيها ملوكاً ، وسنّوا الشرائع والأحكام فكانوا روّاداً وأبطالاً مغامرين .

ومن أرضه خرجت الأبجدية التي هذّبت العالم . وصقلت العقول . وقادت الشعوب الى طريق النور والحياة . فنشر ابناؤها معالمها قصيًا : وحملوا مشاعلها الى اطراف المعمور ، فكتبوا أروع صفحة في التاريخ .

ومنه خرج الأنبياء والرسل والمبشرون الذين تغنّوا بحسنه ، وترنّموا بذكره . وأشادوا بوصفه فخلّدوه . وأبطال صمدوا عبر التاريخ في وجه الشدائد والملمّات فردّوا الغزاة الفاتحين على أعقابهم خاسرين وعلى أرضه غنّت الشعراء أطيبَ الألحان وأعذبَ الأناشيد : فأفاضت في تعداد محاسنه وجمال مفاتنه .

هذه ذكريات عذبة جالت في خاطري : فتجسّمت عندي الحياة : وهزّني الفخر وتالي المجد : وتضاءلت أمام عينيّ أمجاد العالم وأباطيله : وانمحت من نفسي الأوهام كما يضمحلّ الضباب عند تباشير الصباح.

هذا هو لبنان يا عزيزي موطن السحر والجمال : وموطنُ أوكار النسور : فعلى هامه ضفّروا تيجان الملوك وأكاليل الغار .

نحن في هذه الديار المكسيكية نتباهى ونعتزّ بما لنا من ماضٍ مشرق بالحضارة والاختراع والاكتشاف : ذكريات تقضّ مضجعي : وتلهب نفسي فتحملني على أجنحة النسيم الى ذلك الفردوس المليء بالمفاتن والمغامرات : المعطّر بأنفاس الآلهة وأرواح النسّاك .

حين أذكر لبنان يشعر جسدي بالراحة وتحسّ نفسي بالرحمة ، فيأليت أحلامي تتحقّق فأعود اليه ولو رميماً : بعد أن آذنت حياتي بالمغيب .

لبنان وطن الأرز والخلود ، ومرتع الأبطال والآساد ، ومهبط الوحي والالهام ، ومنبع الحريّة والسلام ، ومصدر الشهامة والشرف ، ورمز الإلفة والمحبة : هذا هو لبنان .

خليل

مكانته الادبية : وكان الفقيد يتمتّع بين أفراد الجالية اللبنانية في مكسيك بمكانة ادبية مرموقة . وكان مواطنوه على اختلاف نزعاتهم يقدرونه قدره وينوهّون بفضله كما يتضح من بعض ما قاله فيه صفوة من الأدباء :

قال الأديب الكبير والشاعر العبقري المرحوم الاستاذ بولس غانم :

فُجعت الصحافة اللبنانية في المهجر بفقد ركن من اركانها جاهد في سبيلها وفي سبيل الدعوة للبنان سنين طوالاً . لم يجتزئ فيها بعصارة قلمه وروحي خاطره ، بل أنفق في سبيل ذلك ما تملكه يداه ذلك هو الأديب الكبير الاستاذ خليل يوسف نصر .

نشأ خليل ذكيًّا في أحضان والديه اللذين بذلا في سبيل تعليمه جُلَّ ما تملكه يداهما ، فكان عند حسن ظنّهما به ، متفوّقاً على أقرانه في سني دراسته وكانت حرفة الأدب قد ملكت عليه مشاعر نفسه وكان يصبو الى إنشاء صحيفة يستودعها وحيَ مشاعره ، وعصارة قلمه ، وصادق وطنيته ، ولمّا عجز عن تحقيق أمنيته في لبنان ، هاجر الى ما وراء البحار واستقرَّ في مكسيك مهاجرًا يلتمس الثراء والكسب كغيره من اللبنانيين ، فاحترف التجارة صادقاً مخلصاً في معاملاته ، غير لاه عن أداء رسالته الأدبية ، وأبت عليه نفسه الحرة إلاّ ان ينشئ صحيفة عربية في بلد صدق فيه قول المتنبي :

ولكنَّ الفتى العربيَّ فيهـا غريب الوجه واليد واللسان

فأنشأ فيها جريدة « الفرائد » ثم مجلّة « لبنان » اللتين تولّتا الدفاع عن حقوق أبناء وطنه في المهجر ورفع الاسم اللبناني ونشر اللغة العربية بين المواطنين المهاجرين وذاق فيها ما ذاق من غدر القدر وحرقة القلم وانصراف ابناء المهجر عن العناية بأمور لغتهم وثقافتهم ولكنه مع ذلك ظلّ مثابرًا مجاهدًا بعزيمة صادقة لا تني ونفس أبيّة وقلم سيّال ، وصراحة في الحقّ ، فكانت له في صحيفتيه المقالات الشائقة التي تدلّ على تضلّعه من الأدب وإلمامه بشتّى أساليب الصحافة الى ان توفاه الله كالجندي في حومة الوغى وقلمه بيده وثقته بنفسه وبوطنه ، فذهب مأسوفاً عليه مبكياً على أدبه الجمّ ، وقضى والحنين في قلبه الى وطنه الأول لبنان وأمنيته بعد موته قول القائل :

يا بني أمّي اذا حضرت ساعتي والطبّ ابليـتي
فاجعلوا في الأرز مقبرتي وخذوا من ثلجه كفـني

وقال الدكتور وليم نعمه وكان صديق الفقيد الحميم :

كان المرحوم الاستاذ خليل نصر كاتباً أديباً وشاعرًا رقيقاً ووطنيًّا صادقاً كريم الاخلاق طيّب السريرة .

ولد في بكاسين من والدين كريمين وتلقى دروسه الأولية في مدرسة قريته وأكملها في مدرسة قرنة شهوان .

ثم عهد إليه بتدريس اللغتين العربية والفرنسية في كفرحزنة (جزين) وظل يؤدي رسالته الثقافية الى سنة ١٩١٢ وفي هذه السنة هجر وطنه الى الديار المكسيكية وأخذ يجاهد في حقل التجارة . فأصاب نجاحاً وتوفيقاً . وكان بين الفينة والفينة يراسل الجرائد وينشر المقالات الأدبية ، وقد غلبت عليه النزعة الأدبية فترك التجارة وأنشأ جريدة « الفرائد » العربية التي أدّت لابناء الجالية اللبنانية أجلّ الخدمات ، وساعدت على احتفاظ المهاجرين وأبنائهم بلغة آبائهم ، كما كانت خيرَ موجّه للسياسة اللبنانية والقومية العربية ، ثم أنشأ مجلةً باللغة الاسبانية دعاها « لبنان » اشترك في تحريرها الجيل اللبناني الناشئ في مكسيك .

ومن أبقى آثاره كتاب باللغة الاسبانية نشره سنة ١٩٤٨ أسماه « الدليل اللبناني » بالاشتراك مع الاستاذ سليم عبّود يقع في أكثر من ستمائة صفحة ألمّ فيه بتاريخ هجرة اللبنانيين وآثارهم في نهضة الشعوب للبلاد التي هاجروا اليها ، وقد كان لهذا السفر الثمين وقع عظيم لدى المقامات الأدبية والسياسية في بلاد المهجر .

وفيما هو يجاهد في سبيل أمّته وبلاده لرفع الاسم اللبناني وكلّه آمال للعودة الى وطنه يوماً قضى بعيداً وقلمه بيده مأسوفاً على علمه وأدبه وجهاده وصادق وطنيته .

وقال صديقه الشيخ ناصيف الخطل :

كان (الخليل) رحمه الله اديباً شاعراً وصحفياً واسع الأفق ، تخرّج من مدرسة قرنة شهوان وأقبل على تعليم النشء في مستهلّ حياته الأدبية ، ثم هجر وطنه سعياً وراء الرزق فاحترف التجارة في أول امره ولم يلبث أن فطن الى انّ رجال الأدب يتبادلون ذات النفس لا ذات اليد ، فانصرف الى الصحافة العربية وأنشأ في المهجر جريدتي (الفرائد ولبنان) عالج فيها الأدب والتاريخ والمواضيع الوطنية التي بها حثّ مواطنيه على العودة الى ديارهم والتمسّك بحبّ ذلك الجبل الأشمّ الذي أنبتهم نباتاً طيّباً . ولم ينسَ أن يرجّع الحنين الى ذلك الوطن بشعر رائع نبيل ، جاء صورة صادقة لما في نفسه ، وأبت عليه الأقدار إلاّ ان يموت غريباً مشوّقاً الى وطنه الأول

وسقط رأسه بكاسين التي لا تزال تعتزّ بأمثاله من الأبناء البررة رحمه الله رحمةً واسعة .

وكتب مواطنه المرحوم الاستاذ سليم عواد سنة ١٩٤٧ الكلمة التالية عنه :

الاستاذ خليل نصر عصاميّ لأبيه وجده ؛ أحبّ العلم صغيرًا وبدت عليه بين أترابه في مدرسة القرية دلائل النبوغ والذكاء فعمل أبوه بقول المسيح بع متتاك فباعه لا ليتبع المسيح بل ليربّي الخليل التربية الصالحة الحسنة ؛ ولم يخيّب الخليل الآمال المعقودة عليه بل تفوّق على أقرانه في المدارس التي تخرّج فيها ؛ وخرج منها مثقفاً أديباً لا يملك إلاّ شقّ قلمه ، ولم يجد في لبنان مجالا لكسب قوته من ذلك القلم السيّال وذلك الدماغ المفكّر ؛ فهجر لبنان تحمله الغصّة لفراق ذويه ، ويحدوه الأمل بالمستقبل الزاهر في بلاد تعرف للاديب مقامه ، وتحفظ لمفكّريها اقدارهم ؛ فتحقق الخليل في مهجره أمل ذويه وخلانه وأترابه وأنشأ « الفرائد » بين الجرائد يغذّيها بلبّه . وينفق عليها من دمه ؛ ولكن والد الخليل رحمه الله لم يعش ليروي ظمأه من إنتاج ولده إن فاته ان يتمتّع الطرف الجميل بطلعته ، ولكنّ أحداث الخليل عاشوا هم يعتزّوا بخليلهم ؛ ويجتمعوا اليه بأرواحهم ، وعسى أن يكافئ الله الخليل على جدّه ونشاطه وسهره وتحصيله ، وأن يردّه يوماً الى بلده الذي يفاخر به ، ليجتلي أصدقاؤه الذين مدّ الله في أعمارهم ، ذلك المحيّا الوسيم ، ويتمتّع طويلاً بأدبه وعلمه انشاء الله.

نماذج من شعره : وكان رحمه الله قد أتحفني ببضع قصائد — وقد أتينا على ذكرها — زاخرة بالعاطفة والألم والوفاء والوطنية ننشرها عبرةً وذكرى ؛ لنخلّد بها بعض آثاره ونحبّبها القرّاء .

قال يهنئ السفير اللبناني في مكسيك الشيخ خليل تقي الدين في مطلع سنة ١٩٥٤ :

يا وزير القلوب قوّم نقوماً ... صوّحتها عواصف الأديان
علّم الناس أنّ ربّ البرايا ... مصدر الحبّ والنهى والحنان
أرسل الأنبياء هدياً لقوم ... قد أضاعوا وديعة الايمان
ذاك أعطى الفواة انجيل صدق ... ثم لاحت بشارة القرآن
فانتشى الكون بالمروآت تسري ... بانتظام وراحة وأمان

يا (خليل) القلوب أرهف يراعاً قد سرى الجهل في بني الأوطان
قل لقوم على الضغينة ناموا ان يفيقوا. فكلهم لبناني

وقال في وداع سيدة كريمة زارت لبنان بعد غياب طويل وقد كانت معجبة بجمال وطنها ومفاتنه :

يا ابنة المجد والجمال النبيله أيّ شيء سواك اجدى «وسيله»
انت في الدار بسمة في شفاه انت في الروض زهرة للفضيله
يوم طار البساط فيك عرفنا لوعة البعد في نفوس عليله
قد وقاك الرحمان من كلّ شرّ وحباك الحياة دوماً طويله
لا تُطيلي الفراق عنّا وقولي يا ليالي الفراق كوني قليله

ونراه يثور غاضباً عاتباً لانقطاع الوفاء وتبدّل الاصدقاء فيودع غضبه وعتبه اياتاً من الشعر ينبع منها الحزن ويفيض الألم ؛ فيقول في قصيدة عنوانها اين الوفاء ؟

اين الوفاء لقد ثوى كالزّهر في حرّ ذوى
بالأمس في عهد الصبا كنّا يطيب لنا الهوى
فتبدّلت أيامنا والحزن قد شلّ القوى
أيام حزن قد مضت لم يروها راوٍ روى
فالقلب مزّقه الأسى والحبّ غُيّب وانطوى
والغصن بعد غضارة قد جفّ ماءً والتوى
نزّت جراحي بالأسى وجزعتُ من فرط النوى

ويسترسل الشاعر في تشاؤمه ويعالي بيثّ شكواه وألمه فيقول في قصيدة أخرى تحت عنوان ، اين الصداقة ؟وما أصدق قوله :

لهفي على تلك الصداقة قد ذوتْ ومحى الزمان رسومها وسماتها
وبدت تنوح وحيدة في مهجة حرّى يقطّع دمعُها نفثاتها
دُكّت معالم حسنها وجمالها نثرت على رمس الوفا عبراتها
أسفي على عهد قديم غابر ولّت به الأيام في غدراتها
ذبُلت محاسنها وجفّ معينها وعفت مجالي الأنس في ربواتها
تلك الصداقة قد هوت من حالق يا ليتها ظلّت على دوحاتها

ثم نراه وقد هزّه الشوق الى الجبل الأشمّ ، ومرّت بخاطره ذكريات طفولته وصباه ، واشتدت عليه كربة الغربة وطول الحنين الى الوطن ؛ فيقول معبّرًا عن عواطفه الوطنية وشعوره الصادق في قصيدة عنوانها (ذكرى الوطن) :

وطني وفيه الذكريات صبوحي ... وضياء برء للعليل وروحي
قد جال في قلبي خيال بهائه ... بين الربى ووهاده وسفوح
والشوق يملأ في البعاد حشاشتي ... فتفيض آلامي جوىً وجروحي
كم بتّ والليل البهيم مسامري ... والذكريات عن الصبابة توحي
والعين تدمى ثم تذرف دمعها ... من جفن مغتلّ الفؤاد جريح
وطن الخلود مكلّل في تاجه ... للمجد يوم كريبة وفتوح
أصبو لأيام الطفولة والصبا ... وحنان أمّ بالرشاد نصوح
وبحبة تترى كبحر زاخر ... وبشاشة لاحت بوجه صبيح
يا ربّ ارجعني لدار أحبّتي ... فأنام مرتاح الحشا بضريحي

وهذه أبياتٌ من قصيدة نظمها الشاعر في اثناء الحرب العالمية الأولى يتنجّع فيها على ما حلّ بوطنه العزيز ويتألّم مما أصاب بلدته من ظلم بعض المواطنين الجشعين . وقد تمثّلت في مرآة خاطره صور دامية عن هذه الحرب رسمها في بعض ابيات هذه القصيدة قال :

نزل البلاء بموطن الأجداد ... فسرى الأسى في القلب والأكباد
خطب جليل عمّ آفاق الورى ... دكّ الجبال وشامخ الأطواد
وطني جُعلتُ له الفداء عدت به ... من دهره وبنيه شرّ عواد
لم يكفه ظلم أطاح بأهله ... حتى أصيب بطعنة الالحاد
هم شاركوا السفّاح في سفك الدما ... وتفنّنوا في الظلم والإفساد
وهم اجاعوا الأقربين فأصبحوا ... شرًّا من الاعداء والاضداد

وله قصيدة يصفُ فيها مناظر لبنان الخلابة وميادنه المتدفّقة ويستعيد بها ذكريات صباه ومآثر آبائه :

لبنان فيك ترعرعتْ أجدادي ... وعرينهم أضحى يذاك الوادي
تركوا المكارم والمآثر والعلى ... ومفاخر الأعمال للاحفاد

حملوا الفضائل كالأزاهر عرّفها ... فكأنها البسمات في الأعياد
لبنان يا وطن الأسود وموئلاً ... في وجه كلّ مكابر أو عادي
بسقت غصونك في الجنان جميلةً ... يا حسن أغصان على أعواد
أبناؤك الغرّ النوابغُ قد غدوا ... في كلّ صقع كالشعاع الهادي
ومروجُك الخضراء جنّات غدتْ ... سلمتْ مباهجها الى الآباد
يا ما أحيلى شمسُ صيفك إنّها ... بردٌ على الأرواح والأجساد
من ارضك انبثقت معابيح الهدى ... وبفضلهم كلّ العصور تنادي
من كلّ هزّاز القناة وعالمٍ ... وكريم نفسٍ في الورى وجواد
حيهات أن ينسوا البلاد وعيدها ... ومرابض الآباء والأجداد
إن يهجر الأوطان منهم نُزّحٌ ... فبذكرهم أضحى يشيدُ الشادي

لبنان سبحان الذي خلق الورى ... أضحى جمالُك منية المرتاد
تفنى الدهورُ وتنطوي آياتُها ... وبديع حسنك ملء كلّ فؤاد

لقد انطفأ نور هذا الشاعر بعيداً عن الوطن الذي أحبّه، وغاب عن العيون شعاعه وضياؤه ؛ وفي قلبه حسرات ؛ وعلى لسانه عظات ؛ فذهب مأسوفاً على أدبه ؛ مبكيًّا على شبابه .

بكاسين — لبنان

جرجي ابرهيم نصر

المسيحي امام العناية الالهية

ما يقوله لنا الايمان وما نراه فعلاً

للأب جنون ساله اليسوعي

ترجمه

الأب جبرائيل عتيق اليسوعي (*)

ان الله حاضر في كل مكان ، وإلا فلا يكون إلهاً . هو حاضر في العالم ، وفي الحياة البشرية ، يهيمن على أحداث التاريخ عامة ، ويسهر على كل كبيرة وصغيرة في وجودنا . وإثبات وجود إله شخصي إنما هو إثبات لوجود العناية الإلهية وإثبات لأن الله يرى كل شيء ويريد كل شيء ، بحكمة وقدرة ومحبة .

غير ان هذه الحقائق ، على صحتها ، قد يخالفها الواقع مخالفة صارخة . فيظهر لنا هذا العالم فاسداً في جوهره ، مؤذيا في أحداثه . فالنقض فيه شاملة . والله الواجب ان يكون حاضراً دائماً في كل مكان ومتسلطاً على مجرى التاريخ البشري يشعرنا بانه كثيراً ما يكون منصرفاً عنه ، كأنه ، وهو القدير ، متغاضٍ عن الشر أو مواطئ عليه . هذا الاب الذي يجب علينا أن نراه ساهراً على خيرنا ، نراه غير مكترث لنا ، وقليلاً ما يهتم بمصاعبنا وأحزاننا وآلامنا .

ويحتج الزنادقة على مسلك هذا العالم الغريب المضطرب ، يحسبونها حجة قاطعة حتى لينكروا وجود الله ويحدقوا على اسمه كمن يسمعنا الكتاب

تضاحكهم وقولهم : « أين إلهيم ؟ — ليس إله » (مز ١٣—١٤) وكستنر هال وتجديفه في قوله : « عذر الله الوحيد أنه غير موجود » .

إنّا ليغضبنا هذا الإنكار وهذه التجاديف . ولكن ما العمل وهناك أمور غامضة تغشى هذه المشكلة ؛ أو بالأحرى أمام هذا السر . لان العناية ليست مشكلة بل هي سر . ولسنا نبحث عن جواب لحل هذه المشكلة ، لكي ننتقل الى غيرها ؛ بل غرضنا أن نعرف الموقف المسيحي الذي يتطلبه السر بنوع دائم .

سر لا مشكلة ؛ أعني اننا لا نرضى أبدًا أن نعد العالم الجسماني والروحاني جهازًا محكماً ركّبه الله وترك لنا أمر البحث عن معرفة تكوينه... فإن فولتر ، وليس بمعلم كنسيّ ولا هو بفيلسوف كبير يقول : كلما أنعمت الفكر ، شق علي أن أعتقد ان هذه الساعة قد وجدت من دون ساعاتي .

ويمكن فولتر أن يبرهن بصورة بدائية على وجود الخالق من وجود المخلوق ، غير أن الصورة باطلة ؛ إذا ألفت في روعنا أن العالم هو جهاز دقيق يدور بلا صرير ولا مفاجآت منكرة . فالعالم ليس ساعة ولا الله ساعاتي . العالم جوهرياً هو عالم البشر ، مع مفاجآت غير منتظرة . والعناية شيء آخر غير الإشراف بارتياح على دورانه المنتظم .

فاذا أردنا أن نرى صورة صحيحة للعناية ، فلا نطلبها من الفلسفة بل من الكتاب المقدس ؛ فهو يوحي إلينا بأن العالم البشري بجملته وبمصير كل منا فيه إنما هو رواية يمثلها الله بطرق محيرة مدهشة .

الذي يتكلم ويعمل ويملك

ان التوراة تصرح عن الله ، بكثير من التأكيدات الأساسية ، وهي بذاتها قاعدة تعليم العناية .

هذا الإله الحي ، هذا الخالق الذي هو في داخل الخلق لا يبرح يعمل ويمنح جميع الكائنات الحياة والقدرة على العمل ، يسخّن الأرض بالشمس المشرقة ، ويثير الزوبعة من قلب الريح ، ويخصب الأرض بالمطر

يوزعه على الأرجاء ؛ هذا الإله الحاضر في كل مكان من العالم الطبيعي (عاموس ٤) الذي يدعوه الفلاسفة العلل الثانوية ولا يأخذ بتوهم الكتبة الإلهيون ؛ هذا الإله هو بأولى حجة حاضر وعامل من صميم القصة البشرية. وليس العالم المادي الا الفرصة او المسرح والزخارف . وهذه المأساة المتعددة الفصول لم يكتف الله بان يبني مسرحها ويؤلف روايتها ويدرّب ممثليها . وانما هو تعالى الممثل الأول الذي يسيّر مجرى الرواية من مقدمتها الى ختامها.

هو نفسه دعا ابرهيم جد الشعب الاسرائيلي وجدّد ووجّه بهذه الدعوة كل التاريخ المقدس ، ملحمة الشعب المختار . هو الذي أغرى فرع يعقوب ان يقيم في مصر ، حتى اذا ما جار عليه فرعون أصدر إليه بلاغاته فأرغمه باساليب رهيبة أن يراخي من ضغطه ، ثم اجازهم من العبودية الى الحرية . وكان هو الدليل لتلك القافلة العظيمة في صحاري سيناء ؛ يموّنها في المجاعات ويرويها عند الظمأ . هو الذي فتح أرض الميعاد ؛ قائداً شعبه بنفسه ؛ هو الذي يحكم ويملّك باختياره الملك شاول ويستبدل به عند معصيته داود . هو الذي أطلق أقدام الغزاة على اسرائيل عقوبة لهم على كفرهم . وعندما كانت الامم الغربية المتنّذة لقضائه تفتخر متكبرة بانتصاراتها ؛ كان ينبذها ويسحقها نبذ النواة (اشعيا ١٠) هو جامع الحرب والسلم .

وإنا نجد هنا إحدى فكر العهد القديم الأساسية ، بخلاف ما كان ينسب الى آلهة الوثنية من القدرة الهائلة وما لا يذكر لهم من سيرة حسنة — اولئك الآلهة الذين كان واجباً أن يخشاهم البشر كالوباء او كالفواري ، دون ان يكون لهم أقل احترام — أما إله التوراة فهو القدّوس ممن لا يقدر الانسان بسبب ذنوبه أن ينظر اليه ويبقى حيًّا (اشعيا ٦ : ٥) وبينه وبين الشر تناقض مطلق ؛ ومما يلاحظ أنه اذا كانت المسافة بين الله والانسان غير محدودة ؛ فهل ذلك لكونه تراباً أم لكونه رجاسة وخطيئة .

ومن الواضح ان رب العدل والقداسة يجب أن يدخل في التاريخ لينصر القداسة والعدل .

دهشة النفوس أمام أحداث العالم

نظرة الى ما في التوراة نفسها . فبجانب ما تثبته عن الإله القدير العادل القدوس والطيب القلب ؛ وبجانب ما تعلمه عن فعله الفعّال في العالم ؛ يتردد صدى فضائع النفوس ؛ في جوانب التاريخ البشري ؛ كما تراد في واقع الحال من تراكم الظلم والفوضى والعنف .

فهذا الشعب المحبوب من الله وقد خصّه بكثير من العجائب لم تتحقق له المواعيد الإلهية ؛ الشعب المختار الذي الله سوره وصخرته وحصنه المنيع ؛ قد حطّمه أعداؤه ؛ فهو هدف النكبات الماثلة . لا شك أن هناك جواباً يخطر تلقائياً على البال وهو « ان ليس الله الذي أخلف وعده بل نحن المخلفون . لاننا لم نقم بما يجب علينا ؛ وتلك هي خطيئتنا العظمى » .

لكن هل يكون الناكثون أبراراً ؟ أليسوا مجرمين شرًّا من ضحاياهم ؟ أما تكون عاقبة فوزهم للمزيد من تصلبهم في كبريائهم واستحالة ملك الله على نفوسهم ؟ اما ان انتصارهم هو انكسار لله ؟

نجاح الأشرار وشقاء الأخيار

وإذا فرضنا أن ما ينزل بالشعوب من البلايا انما هو بسبب كفرها بالله ؛ فكيف نفسّر مآسي النفوس الفردية التي تبدو لنا كألغاز محيرة . مهما تمسكنا بمسألة التضامن بين الفرد وبيئته فلا يسعنا إلاّ التسليم بالمسؤولية الشخصية : فالانسان لا يؤاخذ إلا بما أتى هو نفسه من الذنوب . وكم نرى في كتب العهد القديم من الحقائق المدهشة عن يسار الأشرار وبؤس الأبرار .

لقد كان ينتظر بحسب قوانين العدل أن ينال الخادم الأمين من السيد الكريم أجرًا من السعادة الأرضية جزاء تفانيه في الخدمة وان ينال الشرير العاصي عقاباً عاجلاً رادعاً . ولكن يا للخيبة ! فكثيرًا ما يحدث العكس . مشكلة رهيبة تصطدم بها الضمائر المستقيمة فتتزعزع جوانبها . « أمّا أنا فأوشكت قدماي أن تزيغا اذ رأيت سلام المنافقين . فإنهم لا أوجاع لهم الى الموت وأبدانهم سمينة ... إذن باطلاً زكّيت قلبي » . وكنت مضروباً بالنهار كله . (مزمور ٧٣) .

مخاصمة الضمير المستقيم الغامضة

ما ملحمة ايوب الا المخاصمة الغامضة للضمير المستقيم ، تجاه عالم يبزأ فيه النجاح والإخفاق من الفضائل والرذائل.: هي مسألة نفس وكلّمى تجادل إلهاً كأنه يحارب الصدّيق أيّ حرب . هوذا أيوب مفجوع بماله وولده ومضروب بجسده . هو في محنة لا تحسبها الا عقاباً ، وهو يحاول باحثاً مخلصاً ولا يرى أنه مذنب . ثم يفكّر في مجرمين مشهورين يعيشون سعداء لا تصل المحن الى حصونهم . ويابى الاّ ان يدحض وهو غاضب كل حجج أصحابه في سعادة الأخيار وشقاء الأشرار . يحسبون أنهم يعزّونه بكلامهم وما كلامهم الا سخرية وإهانة . وحينما يعجز عن حلّ المشكلة يتركها عن حكمة عرضة للبحث ، ولا يحدف بل يتكل على هذا الإله الذي لا تدرك أحكامه (أيوب ٤٠ : ٤٢) .

هذه بطولة تقضي منها العجب وتشاهد عند كثيرين من رجال العهد القديم شيئاً ما . لقد وجدوا أن هذا العالم الذي يدبره الله ليس فيه نظام ولا عدالة ؛ فوقفوا إيمانهم كله ورجاءهم كله للبحث عن تبريره تعالى ؛ ورفضوا رفضاً قاطعاً ما عرض لهم من الحلول المقوية مثل : عجز الله ، وظلم الله والصدفة . واتجلت لنظرهم تفاهة كل ما خطر ببالهم من الأجوبة : نجاح الأبرار الظاهر وعقوبة الأشرار (الجامعة ٩ : ١٠) وارتادوا ما لم يكن واضحاً : كانتظار حياة أخرى ، وعاقبة مصلحة ، وتغيير روحي لكل مواعيد الله لاسرائيل وفهم لما يقاسيه البار من العذاب (اشعيا ٥٣) حركة تعليمية ترفع النفوس وتزيدها استنارة .

وكل ما تقدم لم يكن إلا أضواء خفيفة تسير النفوس عليها تحسّساً في ظلام السر ، مع تيقنهم وجوب تجنب مجادلة الله لا كما حدث لأيوب . فالعبادة في الصمت هي الحب العظيم .

الله في العهد الجديد

كأن العهد الجديد يسدل أستاراً جديدة على ظلمة السر . فانه لا يترك حرفاً من الشريعة يسقط ، ويثبت ان الله كلي القدرة وأنه الحكمة

غير المحدودة والعدل السامي . وإذ جاء لكي يكمّل الوحي فقد بيّن بكل وضوح سرّ الجودة الإلهية التي ظلّلا حزّ النفوس ذكرها في صفحات كثيرة من العهد القديم . ان الله أب وليس شعب إسرائيل وحده يحمله ابنه ؛ بل كل انسان من البشر . وعنايته تعالى ساهرة على جميع الكائنات المخلوقة ؛ من العصفور الى زهور الحقول ؛ ولا سيما البشر أعزّ بنيه ؛ فلا دقيقة من دقائق حياتهم تغيب عن حنانه ولا حادث من الحوادث يمكنه أن يمسّهم بدون سماحه : « شعور رؤوسكم محصاة » (متى ١٠ : ٣٠) .

هؤلاء البشر الذين يحبهم ؛ إنه يريد خلاصهم ، ولم يرسل الى اسرائيل وإلى البشرية أحداً منهم ليحررهم بل أرسل ابنه الوحيد « هكذا أحب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد » (يوحنا ٣ : ١٦) فازاء هذا الدليل على الحب كيف لا نؤمن بالحب ؟

إختفاق الله

ولكن بعد التسليم بكل ما تقدم ؛ نرى أن المساعي الإلهية قد أخفقت ، والصعوبة زادت ؛ اذ لسنا كالعهد القديم ، أمام مواعيد متعسفة وآمال غليظة ؛ بل صرنا في جو روحي وفي عهد الخلاص .

واول ما يظهر للعيان هو الإخفاق أو سلسلة من فشل القدرة الإلهية والجودة الإلهية . لان الفساد ما زال شائعاً ، والمخلص الذي كانت البشرية تنتظره وأجيال من الأشواق قد تهيّأت لمجيئه ، كان واجباً أن تستقبله بمظاهر الظفر ، ولكنه اصطدم بعداء وبغض لا يلين . واسرائيل الذي كانت دعوته وعلة وجوده أن يستقبل المخلص قد جحده جحوداً فظيعاً . شعب الله المختار قتل ربه وما كان قد أعدّ لخلاصه أمسى حكماً عليه بالهلاك .

والبشارة الجديدة حين ذاعت بين الشعوب الوثنية أثارته موجة من الغضب ؛ فالعالم الوثني بجملته لم يقبل عليها والمبشرون بالمحبة راحوا ضحية البغضاء .

وما زالت قصة المسيح المحزنة مستمرة . فالكنيسة على ممر الأجيال مضطهدة ؛ لا يتوقف اضطهادها برهة ؛ حتى تقوم العقبات في سبيل أعمالها .

فالله المنهزم في هذا العالم كما قيل. أليس التاريخ ولا سيما التاريخ الحديث مملوءاً من الجرائم والتعدي على الله وعلى الانسانية؛ هذه الانسانية التي يحبها الله؟ اما رأى العالم قادة شعوب اشتعبوا الحقوق وداسوا الحريات وتحدّوا الله نفسه؟ أليس مؤكّداً أن الأقوياء هم الذين يتحكّمون بمقدرات العالم أيّاً كانت قيمتهم الأدبية أو حضارتهم. كم من شعوب مستضعفة مقهورة لأنها ضعيفة؛ رغم ما عندها من الكرامة وحب السلام؛ وكم من دول تجاهر بالكفر وهي تتمتع برفاهية هي محسودة عليها؛ إمّا لما تملك من موادّ أولى وإمّا لكثرة سكانها.

وكأنه تعالى أمام هذه المأساة لا يحسّ بشيء؛ فهل يبقى صامتاً كما كان يوم جمعة الآلام المقدسة، حين ارتفع نحوه ذلك النداء المؤثر: «الهي إلهي؛ لماذا تركتني؟» (متى ٢٧: ٤٦).

سرّ العناية

على أنه في هذه القصة المقدسة التي ظاهرها قليل القداسة والتي تواصلها قصة الكنيسة المعذبة يجب علينا أن نفهم ونحلل بعين الإيمان ماهيّة العناية.

لان طرق العناية لا تدرك إلا بالإيمان، فيمكن بدون شك وبكل تأكيد اثبات وجود العناية من اثبات وجود إله ذاتي وخالق، ويمكن بواسطة اعتبارات عقلية إزالة بعض الاعتراضات او التقليل منها، ويمكن إظهار المضحك المبكي في هذا الانسان الحسير النظر، او الأعمى الذي يريد أن يحكم على غير المحدود والبعيد كل البعد. ويمكن باظهار غباوة هذا المخلوق الزائل حين يريد أن يحكم على تاريخ الدهور. فمستحيل فهم هذا الكتاب من مطالعة بعض كلمات منه.

«هذا الكتاب يكتبه الله معنا بأسطر قصيرة أو طويلة... ولا يبين له معنى إلا عند نهايته». وفي هذا التاريخ الذي يبدو غريباً خالياً من الله او مستقلاً عنه، يسترعي النظر فيه مرور الله به من حين الى آخر بتدخله احياناً تدخلاً باهراً يقول فيه: «أنا الرب» كما جرى في تاريخ بني اسرائيل حين أنقذهم من يد فرعون وحين اعادهم من سبي بابل، وكما حدث في

تاريخ الشعوب بعد المسيح اذ كان يعقب انتصارات الأشرار الثائنة انكسارات عاجلة وانهيارات فاضحة .

ليس من السهل الوقوف على دقائق العناية كلها : فحسبنا أن نصدر فعل إيمان ونسترحي حقائقه الغضى .

اصول السياسة الإلهية

اذا شئنا ان نتصور عمل الله في تاريخ العالم وفي حياتنا وجب أولا ان نكرر ونؤمن حق الإيمان أن التاريخ الحقيقي إنما هو تاريخ النفوس وان المآسي العظيمة في تاريخ الحروب والانقلابات الاجتماعية والاقتصادية ليست الا علة او تعبيرًا او تخريجاً او نتيجة للمأساة الحقيقية التي تمثل في أعماق القلوب . ان الله يريد خلاصاً يخرج من شعب من الشعوب ويريد الخلاص هدية لجميع النفوس . فالتاريخ الحقيقي تاريخ ديني هو تاريخ النعمة : وهو جوهرياً سر خفي يفوتنا أهم ما فيه الآ بعض علامات تبني عليها تخيلاتنا . لكن يجب أن نؤكد ان اشتغال الله — ان صح هذا القول — هو أن يمنح النعمة للبشر ، لجميع البشر . فكيف نتهمه بالحياد وعدم الاكتراث ، ونحن نعتقد أنه لا يبرح يعمل في قلب المأساة بكلمة الانسان في باطن ضميره ويقدم له كل حين النور والقوة .

لكن تاريخ النعمة هو بدون شك تاريخ الحرّية البشرية ، تجاه النعمة . فنحن هنا في النقطة الأساسية ؛ لأن الله وهو حرّية وحب لا يلتفت إلا الى الحب والحرية . وليس للعالم عنده قيمة ولا نفع إلاّ لما فيه من الخلائق الحرة الجديرة بأن تحب حرةً ، وتبلغ غايتها . والذي يجعل للعالم قيمة ليس ما فيه من العجائب المتناهي عظمتها أو المتناهي صغرها ، وان أدهشت العلم . بل الذي يجعل للعالم قيمة إنما هو الانسان . والذي يجعل للانسان قيمة انما هي حرّيته ؛ فنيها شرفه لأن فيها مشابهة لله . والله الذي اخترع حبه هذه التحفة يخلقه خلائق حرة ، قد ارتضى أن يحتمل مسؤولية عاقبتها . فيلزم أن تكون الحياة امتحاناً للانسان معدًا لإظهار ما في نفسه ، امتحاناً يختار به الله ، عن حب إذا شاء ، وتقوم السياسة الالهية في مدة هذا الاختبار بتأمين ما يلزم من الضرورات حتى يتم بأمان وسلام .

فهناك قدرة الله وجبروته . ونعمته ؛ وهناك حرّية الإنسان وإمكان خطئه ؛ هذه هي أركان السر والعناصر التي تتخلل المأساة وتفسّر ما يحدث فيها من انقلابات لتحيّر من يتوقف عند المظاهر .

ان لله أن يتأنى في أعماله ؛ لأنه أبدي . فهو يترك الشبكة تمتلئ من جميع أصناف السمك ؛ واذا أتاه الخدام مضطربين قائلين : « يا معلم ؛ لقد نبت الزوان في حقلك بين الزرع الجيد فيجب قلعه ! » فانه يهدّئ من روعهم بقوله : « الانسان العدو قد بذر الزوان بينما كان الزراع نائمين ». أمّا هو فلا ينام رغم الظواهر ؛ ويعلم أنه لا يضيع شيء . ان الله يرى زمن الحصاد ووقت التنقية . هو رب السفينة ؛ يلقي في البحيرة شبكته الواسعة ولا مهرب منها ؛ فتهيج الأسماك في حبائلها ثم لا تلبث أن تنحصر فيها ؛ فيسحبها سحباً شديداً الى شاطئ الابدية وحينئذ يميز الأخيار من الأشرار .

ان الله له الزمان ؛ وهو يريد أن يكون للانسان زمان وفرص وامكانيات . فقد تحدث تقلبات لا يتوقعها البشر ؛ وهي غير خافية على من « يعلم ما في الانسان » ويعلم ما في النعمة . ولا يمكن أن تصبح السمكة الرديئة جيدة في شبكة الصائد ، ولا العشب البرّي في الحقل قمحاً ، ولكن المجرم الأثيم قد يصير قديساً بل قديساً عظيماً . فالله يعلم ذلك كل العلم . فتأنّيه صبر وصبره صورة من حبه ؛ والاّ فكيف يحب الانسان الا حباً صبوراً . وهذه الأناة الالهية أبعد من ان تكون قصوراً وقد تبلغ نتائج عجيبة ، لكنها تظل سرّية . فقد أوحى الينا الانجيل بارتداد اللص الذي ندعوه « لص اليمين » وكم نرى بجانب هذا اللص السعيد من اللصوص الذين يملؤن جوانب السماء .

ان انتصار النعمة يقوم باستمالة الروح لا بسحق المعارضة . والله نفسه يجتنب طرق العنف واساليب الاستبداد والإرهاب لئلا يعوق اختيار الانسان الحر . فهذا الاسلوب اللطيف قد يتسبّب عن ضرورة خرق النظام . فلو كان القصاص ينزل سريعاً بالمخالف لأوامر الله ، ولو كان السارق وكل مستغلّ يعاقب حالاً بمصادرة امواله وكل زانٍ يضربه بموت زؤام وكل دنس يصاب بداء عضال لحفظت الوصايا السادسة والسابعة والتاسعة أحسن الحفظ .

ولكن هل يصير الناس شرفاء واطهاراً حتماً؟ ولو كان لصوصية دولية وكل حرب ظالمة وكل وحشية يقوم بها شعب طماع يحل بالقائمين بها انتقام سريع. من مجاعات وأوبئة فتاكة. لساد في الدنيا، ولا شك: نظام بديع: فهل يكون بين الناس لذلك اتحاد أشد واحترام للعدل أعم؟

هل يسمي هؤلاء العبيد المروّعون: المتصاغرون: اللاصقون بالتراب أحسن عبادة لله: لأنهم لا يثورون؟ وعلى كل فليس هذا رأي من يهمّه الامر. أعني الله نفسه: كما يقول عنه بيجي بلغته المألوفة: «هؤلاء عبيد وما شأني وشأن العبيد؟ ومن ذا الذي يريد أن يحب او أن يحبه عبيد؟ لقد أردت ما بين خلائقي الحية شيئاً أفضل أردت أكثر، أكثر جداً: أردت الحرية، خلقت هذه الحرّية».

الله يتصرف في التاريخ

ان الله لا يتخلى عن حكمه. فهو رغم حكمه وتأنّيه إزاء حركات الإنسان الجامحة وأمام مجرى العالم المتناقر ليس ساهياً البتة ولا هو أعزل: حتى حين يلوح أنه متغافل لا يبرح يدير كل شيء ويبلغ به الى غاياته الإلهية. والدليل على قدرته أنه يترك البشر يعملون ثم يستخدم أعمالهم الحرة لإنجاز ما يريده هو لهم. وهو كفنان عظيم يسخر من صلابة المادة وما يكلفه الفن من المشقة ولا يرى إلا وسائل طيّعة لاتمام طرفة من الطرف. إنه لا يعرقل تدابيره جنون البشر ولا خطاياهم بل يجد فيما يحدثون من النكبات أسباباً جديدة للنعم وللخلاص أسباب انتصار لمن يحبونه ويريدون أن يحبوه.

أضواء على الماضي

إن نظرة الى ما مضى من التاريخ الديني ترينا نجاح الخطط الإلهية. فالقديس بولس قد عرف بدهائه وقوة إيمانه ان يميّز ما بين خرائب الزمان وأحواله، ملامح تاريخ النفوس الذي أراده الله ونظمه.

فخطيئة العالم — هذه الكتلة الكريهة التي تزيدها الأجيال ثقلاً على ثقل، هذا العار الذي يتسامح الله بالصبر عليه — كانت لازمة لاعداد القلوب للفداء، ولجم ما أغلق عليها من الكفر، ولإثارة شوقها الصادق الى المخلص (رسالة بولس الى الرومانيين ١١: ٣٢).

وانكسارات اسرائيل المتالية وخيبته في سياسته الوطنية والزمنية كأنها تعارض المواعيد الإلهية. فهذه الانكسارات كانت أمرًا ضرورياً لكي تستطيع النفوس الفضلى على الأقل أن تفسّر تلك المواعيد تفسيرًا روحياً وتتصور الخلاص تصورًا صحيحاً.

ثم انتصار الشر في آلام المسيح — هذا الانتصار الصاخب، المعيب البالغ أقصى الخشونة — قد كان الوسيلة العكسية للخلاص؛ وقد عدّه بعض آباء الكنيسة النخ الذي وقع فيه مخترع الفخاخ الرهيب. فان الشيطان محرّض اعداء المسيح لم ينل من هذا الموت الشائن إلاّ ان يجعل المسيح غالب الموت علة الحياة للبشرية المفتداة. ان موت المخلص من قتل الموت وجبه أمات الحقد الذي كان محتدماً عليه.

وجحود اسرائيل، هذا الاخفاق الجسيم لمقاصد الله، الجحود الذي تحطم عليه عقل القديس بولس وقلبه، أن ينكر الشعب المختار دعوته، هذه الحماقة المخجلة قد بان الغامض منها منذ شرع الوثنيون يقبلون البشارة وينضمون تحت راية المسيح. «إن عمىً أصاب جانباً من اسرائيل الى أن يكون قد دخل ملء الامم» (رومانيين ١١: ٢٥).

ومثله الاضطهادات العنيفة في الأجيال الأولى حين جنّدت الدولة الرومانية كل قواتها على الكنيسة فكانت تلك الاضطهادات أنجح الوسائل لانتشار الديانة المسيحية ولانتصار الكنيسة على الامبراطورية.

وصف احد السياسيين حرب ١٩٤٠ بأنها «حرب الفرص الضائعة» أو ليس تاريخ البشر جميعه تاريخ فرص ضائعة؟ حاشا السياسة الإلهية فانها تاريخ الفرص المتتابعة بلا انقطاع ولا ضعف. وحينما نحسبها ضائعة فاذا هي محددة وأكثر جمالا. ان الله أمين يتقيّد بعهوده دائماً ويفي بوعوده فوق ما نتصور من الوفاء.

كيف عامل الله ابنه

ان ما يصدق على أحداث التاريخ الديني جملة يصدق على مصاير الأفراد. أما إن غاية التاريخ اليهودي وتاريخ الكنيسة أن يرمزا الى حياتنا

ومثلا تاريخنا نفسه ؛ ولا سيّما حادث المسيح المثالي الواجب أن يفهمنا مذاهب العناية في حياتنا .

فالآب الذي لا يدعه أبداً وحده ، الآب الذي يعلن على الملأ أنه ابنه الحبيب ، كأنه غير مكترث له ولا مهتمّ بان يسهّل حياته ويمهّد طريق رسالته . فيسوع يواجه الاضطهاد طفلاً ويلجأ الى الهرب لينجو من الموت ؛ ثم يحتاج في الناصرة الى يوسف ليعمل ويقوته الى أن يتمكن هو من كسب معاشه بعرق وجهه . ولم يقدّم له الآب في حياته الرسولية ما عرض عليه الشيطان من وسائل النجاح البشرية التي كانت تمهّد الامور ؛ ولا أنزل الصواعق انتقاماً من تلك المدن التي لم تقبل المسيح ولا تطوعت في بستان الزيتون أية فرقة من الملائكة لتمنع اليهود من القبض عليه . وظلت السماء فوق صليب الجلجلة صمّاء بكماء ، لم تنبس بكلمة ترد بها تحدّي أعدائه . ويدّعي أن الله أبوه فلينقذه » (متى ٢٧ : ٤٣) .

إخفاق صارخ

ولكن من يؤكد أن مصير المخلص يكون أجل وأقدس لو أنه نجح نجاحاً بشرياً . فلم يعارضه أحد أو لو أنه تحق المعارضة بالقوة الإلهية : فملك ملك جبار على رعية ذليلة تحت سلطانه ؟ من يظن ان ابن البشر يكون أجل واجذب للنفوس لو لم يرسم بالجراح التي استحالت ندوب نور؟ أو أن خلوداً سليماً كان أمجد له من اجتياز الموت والقيامة ؟

فخروج المسيح من القبر في فرح الفصح وصيرورته بمجد مبدأ حياة وخير روحي ذلك هو الدليل البيّن على أن الله قادر أن يجدد كما هو قادر أن يخلق وذلك هو النجاح التام للخطة الإلهية أن تفوق الحدود فتصلح وتعيد الشيء خيراً مما يمكن توقعه أو يرجى تصوّره .

كيف يعامل الله ابنه

ليس المسيح مثالا فقط لنا بل هو قدوة ، وليس أسوة فقط بل هو بداية وسبق ، وما مصيره الا رمز لمصيرنا وحياته رسم لحياتنا ونحن بالابن الوحيد أبناء محبوبون .

غير أن العناية لا تمهد لنا بالعجائب سبيل السواء ونحن ولا أمر مصيرنا ومصير المسيح ؛ وان يكن تدخّل الله وسروره في حياتنا أمرًا غير ممتنع . فإن في لورد وفي غيرها من المعابد عجائب ولكنها عجائب عارضة : فقليلون الذين يشفون وكثيرون الذين يعودون الى ديارهم محمولين ؛ وهذه العجائب على قلتها هي دلائل يقول الله لنا فيها : « ان هذه الأحداث غير المألوفة يجب أن تنبهكم أني أتدخل في حياتكم . رغم الظواهر ، واني في كل لحظة أعمل بنوع خفي أعمالاً فعّالة : وهذا الدليل الحسي ينبغي أن ينبهكم اني أحبكم دائماً .

وكأن الله في غير هذه الظروف النادرة يترك الأمور تتبع مجراها . فقوانين الاقتصاد والسياسة توفّق ثمراتها بلا تمييز ؛ يستغلّها أحباء الله واعداؤه معاً اتفاقاً او اجتهاداً ؛ وتشملهم الأزمات وتسحقهم النكبات على السواء ؛ فالمؤمنون غير محصّنين ضد المرض والفقر والعذاب والاضطهاد ؛ وربما ناهم منها النصيب الأوفى ، لأنهم ضحايا مجهزة وفرائس أسهل صيداً لمن يريد الشر .

ومن العبث أن نبحث عن التمييز بين أعمال العناية فيما يخص ما نسمّيه السعادة . فقد عبّر عن ذلك أحد الكتاب العصريين بعبارة عنيفة قال : « ان ما يمنع من لمح العناية هو العمى الاعظم أي خيال السعادة . فلو شئنا أن ننظر الى مصير كل من حولنا ونبحث فيه عن غاية أخرى غير السعادة لتجلت لنا يد الله . فلماذا نفرض ان العناية انما تسعى ببلاهة لسعادة كل إنسان ؟ »

وقد عبّر الاب سرتيلنج عن هذه الفكرة نفسها بلهجة أكثر لباقة فقال : « ان العناية هي محنة رهيبة لا عاطفية ولا خيالية ، ولكنها بدون ريب محنة . أفيعجبنا أن يغلبها الشعور ويغلبنا ؟ إنها تهجس بنا وتقدم لنا كل ما يلزم من الجدم مثل كثيرين ممن لا ينالون الا المديح . فما أكثر العصي في أيدي الوالدين والعقوبات عند المعلمين والسمّ في واجهات الصيادلة ، وما أكثر الملاقط والمشارط في أدراج الجراحين . »

ولا يقصد الله في هذه الرأفة الصارمة القليلة الضعف والعطف أن نكون بخير وعلى أحسن حال بل أن نكون طيبين ، وأن نصير أطيب ،

وأن نلاقي لذلك في العالم وفي حياتنا الخاصة لا نجاحاً خالياً من المتاعب بل فرصاً تؤدّبنا وترفعنا.

وهذه الخطة لا توافق ذوقنا غالباً. لقد قال ربنا للتلميذة ترزيا وقد كانت مرهقة بالمتاعب: «يا ابنتي إني هكذا أعامل أحبائي.» فأجابته بما كان يسمح لها به حبها من الدالة: «من أجل هذا، يا سيدي، هم قليلون.»

فعلى هذا الضوء يجب أن ننظر الى العناية وإلى فعلها التدبير: فان الله يترك القوانين الطبيعية تجري مجراها، غير عابئة بمصالحنا، ويترك البشر يسلكون مرارًا سلوكاً مؤذياً لنا إلا أنه يوجّه كل هذا الى خير اوليائه الأعظم. كتب القديس بولس في رسالته الى الرومانيين (٨:٢٨) عبارة يمكن فهمها جيداً بدون زيادة عليها: «إن الذين يحبون الله يؤول كل شيء إلى نفعهم.» وبشاء الله أن ما يبتلون به من احداث العالم العظمى: من حروب ومجاعات ومنفى... ومما يصحب حياتهم من أتراح واتراح ونجاح واخفاق وتجارب مزعجة او تقوى وتغذية، كل ذلك يشاء الله ان يكون نعماً وفرصاً يقدمها لهم ليزدادوا حباً له ويستعدوا بها لحياة ابدية أكثر جمالاً.

حتى ما نسميه بلغتنا الوثنية نكبة سوداء وداهية دهياء وحظاً عاثرًا... كلها ينتج الله منها خيرًا للذين يحبونه. ولهذا يوصي ربنا رسله بهذه الوصايا المذهلة: لا تخافوا ممن يمكنهم ان يقتلوكم ثم لا يستطيعون شيئا (متى ١٠: ٢٨) لا تخافوا ممن يقتلون الجسد، تلك تفاهة، اهتموا خاصة أن تكونوا في سلام مع الله رب الدهر والابد.

ان حادثاً من الحوادث قد يبدو للعين ناتجاً عن قوة عمياء او ناجماً عن شرير يكرهنا ولا يكون على الحقيقة الا دليلاً على المحبة الالهية.

ويمكن القول أن من خصائص العناية انها تحمّل كل حادث نعمة، وتفتّح في ادغال الاشواك أزهارًا علينا نحن أن نجنيها: «كم نعمة، لا تستقل بشكرها، لله في طي المكاره كامنة».

لا نحاول أن نلقّن الله دروساً. فكل ما يصنعه يستحق العبادة وهو نعمة سابغة.

موقف المسيحي : الرجاء

لا حقيقة نظرية في العقيدة ؛ وتعليم العناية أقل نظرية مما سواه ؛ فهو يقتضي منا أن نتعاون ان يكون عندنا استعداد ؛ استعداد نفس وهذا الاستعداد النفسي يمكن إيجازه بكلمة : الرجاء . ولا بد من تحليل عناصر هذا الرجاء المسيحي وتحديد أركانه .

إنه يفرض أولاً وجود الإيمان — إيمان حي — بالعالم غير المنظور وبالحياة الآتية ، إذ أن العناية ليست موضوع اختبار مباشر وموضوع تحقيق . فما نختبره ونحققه قد يغدو سبباً للريب ؛ لان الظواهر كثيراً ما تكون ضد الله . ولا نغتر بفهم كلمة ظواهر فعالم الظواهر ليس شبحاً بخارياً ينتشع عند أقل تفكير بل هو جامد جداً : فالظلم والفساد حقيقتان واقعيتان تدخنان نفوسنا جراحاً ؛ يقول جبريل مرسل : « إن التناقض الأساسي في المسيحية يقوم بأن نقول : إن الشر مغلوب منذ الأزل والاّ كنا ماتوبين واذا راعينا الظواهر العالمية ، ما دمنا في محنة الحياة ؛ وجدنا هذه الشرور لا تزال على شدتها وكثيراً ما تدعونا الى اليأس والكفر .

واذا عدنا الى أمثال الإنجيل يدهشنا ما نرى في شبكة الصيد العظيمة من كثرة السمك الردي المختلط بالسمك الجيد ؛ وما نرى في حقل أبي العائلة من نمو الزوان بين القمح ؛ ومما يحيّرنا في مشاهد التاريخ اجتهاد أعداء الله لكي يطردوه من العالم ، وأغرب من ذلك سكون الله نفسه . ان تفصيل حوادث البشر لمما يدعو الى اليأس كما يحدث لقارئ الصحف « لا ينتهي من قراءتها إلا يائساً » . فليس لنا سوى الايمان — الايمان الحي — فهو وحده جدير بالمقاومة المطلوبة من المسيحي . ولعل الرجاء أجل فعل إيمان . يقول بيجي على لسانه تعالى : « أحبّ إيمان إليّ هو الرجاء » إذن إيمان ورجاء شيء واحد ولا بد من اضافة « حب ورجاء شيء واحد » فالرجاء هو التسليم وهو غالباً فعل بطلي وإكرام عظيم لله وفعل حب ممن يؤمن بالحب .

وفي الموقف المسيحي أمام العناية شيء آخر غير التسليم متى تضمنت هذه الكلمة معنى الجمود القسري والألم المكتوم من سلوك المشيئة الالهية حتى السلوك المكروه . فقيمة الرجاء في أنه يقتضي الانطراح البنوي بين

يدي الله الذي نصرّح رغم الظواهر أنه ليس خصماً لنا ولا متصرّاً نحونا بل انه ابونا. واليك صلاة السيدة اليصابات شقيقة الملك لويس ١٦ وقد أوحى بها ربنا اليها وهي في السجن أيام الإرهاب؛ بين وحشة الحاضر وتهديد المستقبل:

« اللهمّ. ما تراه ينزل بي اليوم؟ ما أدري. كل ما اعلم أني لن يصيبني إلاّ ما قدّرته منذ الأزل. وهذا يكفيني لأظل مطمئنة. إني أعبد أحكامك الأولية وأخضع لها من كل قلبي؛ إني أريد كل ما تريد؛ وأقبل كل ما تريد وأضحّي لك بكل شيء؛ وأضمّ هذه التضحية الى ذبيحة ابنك العزيز مخلصي وأسألك، بقلبه الأقدس وباستحقاقاته غير المتناهية؛ نعمة الصبر في مصائبنا والخضوع الكامل الواجب لك في كل ما تريده وتسمح به. »

فهل من قلب بشري أنشد العناية أجمل من هذا النشيد؟

ها هي ذي المسيحية بمعناها الصحيح. ان الرجاء المسيحي منزّه عن الأماني الأرضية التي تحاول أن تتسرب اليه نظير آمال اسرائيل. وهل لاحظنا ما في فعل الرجاء من صيغة الاختصار في تعليمنا المسيحي؟ وما يوجبه على كل مؤمن من إنكار الذات: فهو يرجو رجاء وطيداً عون النعمة في هذه الدنيا والبلوغ بها الى مجد السماء ولا ذكر فيه للنجاح الزمني.

أما إن انكار العناية ومعظم التجديف عليها متأت من أن البشر ينتظرون من الله أن ينظّم لهم عيشاً هنيئاً ويتعهّد لهم بلذات رخيصة؟

ويحسّ الانسان بالخيبة عادة لانه اعتمد على وقوع حادث فلم يقع فظن أنه خدع وأن ذلك نقض لعقد سابق؛ وحقيقة الأمر أنه يجهل الرجاء من أساسه. فقد ترجى حصول شيء؛ ترجى شيئاً ولم يترجّ أحداً. وقد حلل فيلسوف عصري هذه الحالة بأنها ضلال منطقي « ففعل ترجّى أصبح عنده ترقّب ومن ثم قد صار اعتمد على، واخيراً أمسى ادّعى على أو طالب. والمطالبة ضد الرجاء المسيحي، لان ليس ثمّ إلاّ رجاء واحد حقيقي. » « ارجوك أنت وحدك يا إلهي ».

المسيحي وعالم اليوم

الرجاء هو الرضى بأحكام الله ؛ وقد سبق أن قلنا ان الله الدائم متأنٍّ ؛ أما نحن الزائلون فمتسرّعون ؛ لا نتوقف عند وجوب التوقف بل نروم بلوغ المراد قبل الأوان ؛ على أن «من تأنّى نال ما تمنّى» .

الرجاء المسيحي وداعة وتواضع واحترام لقوانين الحياة وأساليب النعمة : أعني هو الخضوع لله ، هو صبر وانتظار . ليس الرجاء ذلك الموقف السلبي ؛ موقف من ينتظر نهاية مشهد او ختام رواية .

الرجاء جد ونشاط والمسيحي رجل أعمال لا أقوال . كان الرسل يوم صعد الرب ساهين ينظرون الى السماء فتقطع الملائكة تخيلاتهم ووجهوا أبصارهم الى الأرض وكان القديس بولس يوبخ من يستسلم الى الكسل من المؤمنين الأولين ؛ محتجين بان المسيح عائد بمجده قريبا (تسالونيكي الثانية) .

لا شك ان العالم الحاضر لا منفعة له في فكر الله إلاّ انه استعداد للعالم الآتي ؛ والحياة الحاضرة ما وجدت الا للحياة الخالدة ، والمدينة الأرضية الا للمدينة المستقبلة . غير أن الأبدي انما يعدّ في الزمان ، والمدينة الدائمة تشيّد بمواد أرضية ، والمسيحي في وسط العالم البشري ينظم هذا العالم ويجعله أكثر خيرًا أو أقلّ شرًا فيدخل فيه مزيدًا من الهداية والعدالة والمحبة ؛ ويقاوم الفساد وعدم المساواة وهو اذ يحاول ان يجعل مدينة البشر أكثر مسيحية يبني مدينة الله حجرًا حجرًا .

فهو لا يحتاج الى شجاعة عظيمة ؛ وفضله في عمله أنه لا يعتمد على أوهام مشجعة من التفاؤل . فالمسيحي يعلم أنه لن يكون على الأرض مساء مدهش ولا صباح فتّان ؛ بل لن تبرح الأمور تسير الى السوء يوماً بعد يوم . فلا بدّ للصياد من مزاج قويّ حتى يقول : ألقي الشبكة ، وهو عارف ان الصيد سيكون ضئيلاً ولا بد للزارع من بأس شديد حتى يحرث الأرض وهو يتخيّل العشب الرديء نابتاً بعد أشهر بين القمح . وما يلاقيه من المصاعب ومن بغض الاخفاق ليس عذرًا كافياً للكسل . فاليأس خيانة تجاه الله وتجاه النفس ومؤامرة مع العدو . ونقض الرجاء والجمود نوع من الخيانة وعزم على الانتحار ، فمن هجر ساحة العمل كمن هجر محرس الوطن .

هناك حقاً ساحة لعمل مشترك يجب على المسيحي أن يعدّ نفسه مسئولاً عنه. فالآب الذي يعتني بكل عصفور وبكل زهرة من أرض الجليل يحب كل واحد من البشر حبه له لو كان وحده في الدنيا: يحبه بابنه الذي هو البكر بين كثيرين من الإخوة. يحبه بالعالم البشري الذي يريده أخوّة. فمن عزم أن يعاون العناية لزمه أن يعمل على انجاح هذه المغامرة: المشتركة العظيمة فليس من خلاص فرديّ يصير خلاصاً أنانياً. فالرجاء المسيحي يقتضي دائماً الاتحاد ويساهم في تحقيقه على أكمل وجه. واذا صح أن الحب لا يقوم بان ينظر أحدنا الى الآخر بل أن ننظر معاً الى جهة واحدة؛ كان الرجاء افضل شيء يمكنه منذ هذه الحياة أن يكوّن «نحنا» في انتظار وإعداد «نحن» الحقيقية في السماء «نحن» التي تكلم عنها المسيح في صلاته الأخيرة «فليكونوا كلهم واحداً كما أنك أنت يا أبت فيّ وأنا فيك... فليكونوا مكمّلين في الوحدة».

ان هذا التفاؤل أكيد لا خداع فيه، لأنه مؤسس على صدق الله ومواعيده. إنه يقتضي عملاً عاجلاً موجهاً دائماً نحو العالم الثاني: يسمح لنا أن نحيا في الحاضر «كأناس قد جاؤوا من المستقبل» هذا هو الموقف الذي يطلبه من المسيحي إيمانه بالعناية. وهذا هو الموقف الذي يطلبه عالم اليوم. كان أحد الكتاب يقول من قريب: «إن ما ينتظره العالم منا هو كلمات الرجاء: لأن الجيل الحاضر لم نره يطلب الا أمرًا واحدًا: أن يكون في مستوى اليأس الأعلى. وربما كان هذا مما يهيب بنا الى التكلم عن الرجاء الأسمى الذي نحاول البحث عنه ما بين اليؤس البشري. فيكون شبه انتصار.

يمكننا أن نزعم أن وجودياً لا يؤمن بالله هو غير أهل لأن يبشر بالرجاء. أما المسيحي المتخصص بالرجاء فأي مسئولية عليه إن تردد عن إسماع الناس كلمات الرجاء التي ندعوها إنجيل الآب السماوي ورسالة المسيح الذي مات وقام لأجلنا.

فلا يكفي المسيحيين أن يبحثوا بين البؤس البشري «عن شيء يشبه انتصاراً»، وقد يكون غروراً. فانهم يمكنهم بل يجب عليهم أن يبشروا، وسط البؤس، بالنصر الحقيقي الذي يطلبه العالم؛ وبهذه الطريقة يبدلونه من الأماني رجاء.

بقايا كتاب هام للجاحظ

بقلم شارل بلاّ

لم يخلُ اكتشاف مؤلّفات القاضي عبد الجبّار من أن يكون حافزًا قوياً على إنعاش الدراسات المتعلّقة بمذاهب المعتزلة ، ومن طريف الاتفاق أنّه ظهرت في غضون سنة واحدة مقالتان[1] قيّمتان موضوعهما العام مسألة « المعرفة » وروابطها بمذهب الجاحظ ؛ وبما أن مختارًا من آثار أبي عثمان محفوظٌ بلندن وباستنبول يتضمّن قسماً من « كتاب المسائل والجوابات في المعرفة[2] » ؛ رأيت أن أضع هذا النصّ الناقص تحت تصرف الباحثين دون أن أعلّق عليه ودون أن أحاول أن أبدّ بعض ثلمه استنادًا إلى ما نقله منه القاضي عبد الجبّار وأصحاب كتب الملل والنحل .

شارل بلاّ

---

(١) G. Vajda, *La Connaissance naturelle de Dieu selon al-Ǧāḥiẓ critiquée par les Mu'tazilites*, in *Studia Islamica*, XXIV (1966), 19-33; J. Van Ess, *Ǧāḥiẓ und die aṣḥāb al-ma'ārif*, in *Der Islam*, XLII/2-3 (1966), 169-178.

(٢) في النسخ للزيطالي ؛ رقم ١١٢٩ (رمز : ل) وفي Emanet Hazinesi رقم ١٣٥٨ (رمز : اخ) ؛ راجع Ramazan Şeşen, *Cāḥiẓ'in eserlerinin İstanbul Kütüphanelerindeki yazma nüshaları ve bunlar hakkında bazı yeni malzemeler*, in *Şarkiyat Mecmuası*, VI (1965), 126.

ولقد تفضّل الأستاذ رمضان ششن فقام بمقابلة مخطوط استنبول بنسختي ، فله أجزل الشكر .

من كتاب المسائل والجوابات في المعرفة

بالله نستعين وعليه نتوكّل وما توفيقنا إلاّ بالله

اختلف الناس في المعرفة اختلافاً شديداً ، وتباينوا فيها تبايناً مفرطاً ؛ فزعم قومٌ أن المعارف كلّها فعل الفاعلين ، إلاّ معرفةٌ لم[1] يتقدّمها سببٌ منهم[2] ولم يُوجبها علّةٌ[3] من أفعالهم ، ولم يرجعوا إلى معرفة الله ورسوله[4] والعلم بشرائعه ولا إلى كل ما فيه الاختلاف والمنازعة وما لا تعرف[5] حقائقه إلاّ بالتفكّر والمناظرة دون [ل ١٧٥ ظ] دَرَك الحواسّ الخمس ؛ فزعموا أن ذلك أجمع فعلهم على الأسباب الموجبة[6] والعلل المتقدّمة ، وجعلوا مع ذلك سبيل المعرفة بصدق الأخبار كالعلم بالأمصار النائية[7] والأيام الماضية كبَدْر وأُحُد والخَنْدَق وغير ذلك من الوقائع [اخ ٨٢ و] والأيّام ؛ وكالعلم بغَرْغانة والأندلس والصين والحَبَشة وغير ذلك من القُرى والأمصار ، سبيل[8] الاكتساب والاختيار ؛ إذ[9] كانوا هم الذين نظروا حتى عرفوا فصل[10] ما بين المجيء الذي لا يُكذب [فيه] مثله والمجيء الذي يمكن الكذب في مثله ؛ فزعموا أن جميع المعارف سبيلها سبيل واحد[11] ووجوه دلائلها وعللها متساوية ، إلاّ ما وجده[12] الحواسّ بغتةً وورد على النفوس في حال عجز أو غفلة ، فكان[13] هو القاهر للحاسّة والمستولي على القوّة ؛ من غير أن يكون من البصر فتحٌ ومن السمع إصغاء[14] ومن الأنف شمّ ومن الفم ذوق ومن البشرة[15] مسّ ؛ فإنّ ذلك الوجود فعل الله دون الإنسان على ما طُبع عليه البشر ورُكّب عليه الخلق .

---

١) سقط من ل .
٢) ل : منه .
٣) ل : عليه .
٤) كذا في ل واخ ؛ والصواب : ورسله .
٥) ل و اخ : يعرف .
٦) واخ : للرجية .
٧) ل و اخ : القائمة .
٨) ل و اخ : وسبيل .
٩) ل : إذا ؛ اخ : ان .
١٠) ل و اخ : فضل .
١١) اخ : واحدة .
١٢) ل واخ : وجد .
١٣) ل : وكان .
١٤) ل : للصفا .
١٥) ل : للبشر .

قالوا [ل ١٧٦ و] : فاذا كان دَرَك الحواسّ الخمس ، إذا تقدّمته الأسباب وأوجبته العلل ، فعلّ المتقدّم فيه والموجب له ، ودركُ الحواسّ أصل المعرفة وهو المستشهد على الغائب والدليل على الخفيّ ، وبعد صحّته تصحّ المعارف وبعد فساده تفسد ، فالذي تستخرجه الأذهان منه وتستشهد عليه كعلم التوحيد والتعديل والتجوير[1] وغامض التأويل وكلّ ما أظهرته العقول بالبحث وأدركته النفوس بالفكر من كلّ علم وصناعة ، كالحساب[2] والهندسة والصياغة والفلاحة ، أجدرُ أن يكون فعلَه والمنسوبَ إلى كسبه .

قالوا : فالدليل على [أنّ] درك الحواسّ فعلُ الإنسان على ما وصفنا واشترط[نا] من إيجاب الأسباب وتقدّم العلل أن الفاتحَ بصره لو لم يفتح لم يُدرك ؛ فلمّا كان البصر قد يوجد مع عدم الإدراك ولا يعدم الإدراك مع وجود الفتح ، كان ذلك دليلاً على أن الإدراك إنما كان لعلّة الفتح ولم يكن لعلّة البصر ، لأنّه لو كان [ل ١٧٦ ظ] لعلّة صحة البصر كانت الصحّة لا توجد أبداً إلاّ والإدراك موجود[3] ؛ فاذا كانت الصحّة قد توجد مع عدم الإدراك ولا يعدم[4] الإدراك مع وجود الفتح ، كان ذلك شاهداً على أنّه إنما كان لعلّة الفتح دون صحّة البصر .

وقالوا : ولأنّ طبيعة البصر قد كانت غير عاملة حتى جعلها الفاتح بالفتح عاملةً ، ولأن الفتح علّة الإدراك ومقدمة بين يديه وتوطئةٌ له ، وليس الإدراك علّةً للفتح ولا مقدّمةً بين يديه ولا توطئةً له ؛ فواجب أنّ يكون فعلَ الفاتح لأن السبب إذا كان موجباً فالمسبّب تبعٌ له .

[ا خ ؛ ٨ ظ] ... ثم قالوا بعد الفراغ من درك الحواسّ في معرفة الله ورسله[5] وكلّ ما فيه الاختلاف والتنازع : إن ذلك أجمع لا يخلو من أحد أمرين : إمّا أن يكون يحدث من الإنسان لعلّة النظر المتقدم ، أو يكون يحدث على الابتداء لا عن علّة موجبة وسبب متقدم ، فإن كانوا أحدثوه على الابتداء فلا فعلّ أولى بالاختيار ولا أبعد من الاضطراز منه ؛ وإن كان إنما كان لعلّة النظر المتقدم كما قد دللنا في صدر الكلام على أنّ درك الحواسّ فعلُ [ل ١٧٧ و] الإنسان إذا تقدّم منه[6] سببه ، فالعلم بالله

---

١) ل : والتحرير .
٢) ل و اخ : الحساب .
٣) ل : موجوداً .
٤) ل : يعدم .
٥) ل : رسوله .
٦) ل و اخ : ولا .
٧) ل و اخ : في ، ولعل الصواب ما اثبت .

وكتبه ورسله أجدر أن يكون فعله : إذا[1] كان من أجل نظره[2] علم ومن جهة بحثه أدرك ؛ فبهذا جُمَل دلائل هولاء القوم ورئيسهم بشر بن المعتمر .

ثم هم بعد ذلك مختلفون في دَرَك الحواسّ إلاّ ما اعتمد[3] إدراكه بعينه وقصد إليه بالفتح والإرادة : لأن الفتح نفسه لو لم يكن معه قصد وإرادة ما كان فعلَ الفاتح ؛ فكيف يجوز أن يكون الإدراك فعله من غير قصد ؟ ولو جاز أن يكون الفتحُ فعلَ الإنسان من غير أن يكون أراده[4] وقصد إليه : ما كان بين فعل الإنسان وبين فعل غيره فرقٌ : لأنه كان لا يجوز أن يكون ذهاب الحَجَر إذا لم يدفعه ولم يقصد إليه ولم[5] يخطر له على بال : فعلَه ؛ فكذلك الإدراك إذا لم يخطر على باله ولم يقصد إليه ولم يتعمّده : لا يكون فعلَه .

[...] وليس على المخبر عن[6] خصمه والواصف مذهبَ غيره أن يجعل باطلهم حقاً وفاسدهم صحيحاً ؛ [ل ١٧٧ ظ] ولكن عليه أن يقول بقدر ما تحتمله النحلة وتتّسع له المقالة ؛ وعليه أن لا يحكي عن خصمه ويخبر عن مُخالفه[7] إلاّ وأدنى منازله أن لا يعجز عمّا يلغوه ولا يعيي[8] عمّا أدركوه .

[...] وقد زعم آخرون أن المعارف ثمانية أجناس : واحد منها اختيارٌ وسبعة منها اضطرار ؛ فخمسة منها دَرَك الحواسّ الخمس ، ثم المعرفة بصدق الاخبار كالعلم بالقُرى والأمصار والسير والآثار ؛ ثم معرفة الإنسان إذا خاطبه[9] صاحبُه أنّه[10] موجّهٌ[11] بكلامه إليه وقاصدٌ به نحوه ؛ وأمّا الاختيار فكالعلم بالله ورسله وتأويل كتابه والمستنبط من علم الغُيا وأحكامه وكلّ ما كان فيه الاختلاف[12] والمنازعة وكان سبيل علمه النظر والفكرة ، ورئيس هولاء [ا خ ٨٣ و] أبو اسحق[13] .

وزعم معمّر[14] أن العلم عشرة أجناس ، خمسة منها درك الحواسّ والعلم السادس كالسير الماضية والبلدان النائية[15] : والسابع علمُك بقصد الخاطب

١) ل و اخ : او .
٢) ل : نظرة .
٣) اي : تعمد الانسان ادراكه .
٤) اخ : ارادة .
٥) اخ : اذا لم .
٦) ل و اخ : نفسه .
٧) ل : مخالفة .
٨) ل : يعيا .
٩) ل : خاطب .
١٠) ل : ان .
١١) ل و اخ : موجه .
١٢) ل : لختلاف .
١٣) هو النظام .
١٤) ل : معمرا .
١٥) ل و اخ : القائمة .

إليك وإرادته إيّاك عند المجاورة[1] والمنازعة ، وقبل ذلك [ل ١٧٨ و] وجود الإنسان لنفسه : وكان يجعله أوّل العلوم ويقدمه على درك الحواس وكان يقول : « ينبغي أن يتقدّم وجود الإنسان لنفسه على وجوده لغيره » ؛ وكان يجعله علماً خارجاً من درك الحواس لأن الإنسان لو كان أعمى[2] لأحسّ نفسه ولم يحسّ » [..... [3] ولو كان أصمّ لأحسّ نفسه ولم يحسّ][4] صوته ولو كان أخشم لأحسّ نفسه ولم يحسّ[5] رائحته : وكذلك سبيل المذاقات والملامس ؛ فلمّا كان المعنى كذلك وجب أن يُفرد من درك الحواسّ ويُجعل علماً ثامناً على حياله[6] وقائماً[7] بنفسه ؛ ثم جعل العلم التاسع علم الإنسان بأنّه[8] لا يخلو من أن يكونَ قديماً أو حديثاً ؛ وجعل العلم العاشر علمه بأنّه محدث وليس بقديم .

[...] ولستُ آلو بهذا[9] الكلام والإيجاز في الإدخال على بِشْر بن المُعتمِر في درك الحواسّ ثم على أبي إسحق في ذلك وفي غيره ممّا ذكرت من مذاهبه وتركه قياس ما بنى عليه إن شاء الله لنصير إلى الكلام في المعرفة فإني إليه أجريتُ وإيّاه اعتقدت ، ولكنّي أحببت أن « أبدي فساد[10] أصولهم » قبل فروعهم ، فإنّ [ل ١٧٨ ظ] ذلك أقبل للداء وأبلغ في الشفاء وأحسم للعرق وأقطع للمادة وأخفّ في المؤونة على مَن قرأ الكتاب وتدبّر المسألة والجواب : وبالله ذي المنّ والطول نستعين .

فصل من ردّه على أبي إسحق النظّام وأصحابه

يقال لهم : حدّثونا عن العلم بالله ورسله[11] وتأويل كتبه وعن علم القَدَر وعلم المشيئة والأسماء والأحكام ، أباكتساب[12] هو أم باضطرار ؟

فإن زعموا أنّه باكتساب ؛ قيل لهم : فخبّرونا عن علمكم بأنّ ذلك أجمعَ اكتسابٌ ، أباكتساب[12] هو أم باضطرار ؟

فإن قالوا : باكتساب ، قيل لهم : أوَليس اعتقادُ خلافِ ذلك أجمعَ باكتساب ؟

---

١) اخ : اغارة .
٢) ل : عمى .
٣) لعلها : صورته .
٤ ٤) سقط من ل و اخ .
٥ ٥) سقط من ل .
٦) ل : خياله .
٧) ل : وقائلا .
٨) ل و اخ : فانه .
٩) ل و اخ : الواجد ذا ؛ ولعل الصواب ما اثبت
١٠) ل : ايرى افساد ؛ اخ : ابدا افساد ؛ ولعل الصواب : ابدأ بافساد .
١١) ل : ورسوله .
١٢) ل : ابكتساب .

فان[1] قالوا : نعم ، قيل لهم : فإذا كان اعتقاد الحق واعتقاد الباطل باكتساب ، [أ]فليس كل واحد من المكتسبين عند نفسه على الصواب؟

فان[2] قالوا : نعم ، قيل لهم : أوليس كل واحد منهما ساكن القلب [ا خ ٨٣ ظ] إلى مذهبه واختياره؟[3] .

فإن[4] قالوا : نعم ، قيل لهم : فما يؤمّن الحقّ من الخطإ[5] وليس سكون القلب وثقته علامةً للحقّ لأن ذلك لو كان علامةً لكان المبطل محقاً إذ[6] كان فيه قد يجد من السكون والثقة ما لا يجد المحقّ ؟ قلنا[7] : وما معنى خلافه إلاّ أن يكون المبطل شاكّاً أو يكون عارفاً بتقصيره أو يكون [ل ١٧٩ و] مكترثاً لوهن يجده ؟ فإذا لم يكن كذلك فلا فرق بين المعتقدين .

فإن قالوا : إنّ فرق ما بينهما أنّ سكون قلب المحقّ حقٌّ في عينه وسكون قلب المبطل باطلٌ في عينه ، قلنا : أوليس ذلك غير محوّل لسكون المبطل عن الثقة إلى الاضطراب ولا مغيّره إلى الاكتراث ؟

فإن[8] قالوا ذلك ، قيل لهم : فما يؤمّن المحقّ أن يكون سكونه أيضاً باطلاً في عينه إذ[9] كان سكونه لا ينفصل من سكون المبطل ، ولئن كان الفرق[10] بينهما ظاهر[11] الاجتهاد والعبادة ، فمَن أظهرُ اجتهاداً من الرهبان في الصوامع والخوارج في بذل النفوس ؟

فإن قالوا : الفرق بينهما أن المحقّ قد استشهد الضرورات والمبطل لم يستشهدها[12] ، قلنا : فهل يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات أو لم يستشهدها ، حتى لو سأله سائلٌ فقال : « ما يؤمّنك من الخطإ ؟ » — لقال : « استشهادي الضرورات » ؟ .

فإن زعموا أنّ المبطل لا يجوز أن يكون عند نفسه قد استشهد الضرورات [ل ١٧٩ ظ] لأنّ ذلك هو علامة الحقّ والفصل بينه وبين الباطل : قلنا: وهل رأيتم أحداً اكتسب علماً قطّ أو نظر في شيء إلاّ وأوّل[13] نظره إنما هو على أصل الاضطرار ؟ لأن المفكّر لا يبلغ من جهله أن يستشهد الخفيّ ،

---

١) ا خ : فاذا .
٢) ا خ : فاذا .
٣) سقط من ل .
٤) ل و ا خ : فاذا .
٥) ل : الخطى .
٦) ل : اذا .
٧) لعل جواباً قد سقط .
٨) ل و ا خ : فاذا .
٩) ل و ا خ : اذا .
١٠) ل و ا خ : السكون .
١١) لعل الصواب : اظهار .
١٢) ل : يستشهد .
١٣) سقط من ا خ .

بل من شأن الناس أن يستدلّوا بالظـاهر على الباطن إذا أرادوا النظر والقياس ؛ ثم هم بعد ذلك يُخطئون أو يُصيبون ؛ قلنا[1] : فينبغي أن يكون كلّ مبطل في الأرض قد علم حين يقال له : «ما يؤمّنك أن تكون مبطلاً ؟» أنّه لم يستشهد الضرورات وأنكر أصلَه الذي قاس عليه واستنبط منه ضرورة ؛ وأنّه إنما قال بالعسف أو بالتقليد ؛ وإذا كانوا كذلك فهل يخلو أمرهم من أن يكونوا قد علموا أنهم على خطإ أو يكونوا شكّاكاً أو يكونوا عند أنفسهم مستشهدين للضرورات وإن كانوا قد تركوا ذلك عند بعض المقدّمات ؛ فإن كانوا قـد علموا أنهم لم يستشهدوا الضرورات[2] وإن كانوا شكّاكاً فيها فليس على ظهر الأرض مخطئ إلاّ وهو [ل ١٨٠ و] عالم بموضع خطائه أو شاكّ [ا خ٨٤ و] فيه ، أو كانوا عند أنفسهم مستشهدين للضرورات ؛ فما يؤمنكم أن تكونوا كذلك ؟

فإن قالوا : ليس أحدٌ يعرف أن علامة الحقّ استشهاد الضرورات غيرُنا ؛ قلنا : أوَ[3] لستم — معشر أبي إسحق النظّام — تختلفون[4] في أمور كثيرة وقد[5] كنتم تخالفون صاحبكم خلافاً كثيراً ، وكلكم إذا سأله سائل: [ما] يؤمنك أن تكون[6] على باطل ؟» — قال: «لأني مستشهدٌ للضرورات» ؛ فهل يخلو أمركم من أحد وجهين : إمّا أن تكونوا صادقين على أنفسكم أو كاذبين عليها ؛ فإن كنتم صادقين فقد صار قلب الحقّ كقلب المبطل إذ[7] كان كلّ واحد [منهما] عند نفسه مستشهداً للضرورات ؛ وإن كنتم كاذبين فهل منكم محقّ إلاّ وهو يلقى الخصم بمثل دعواه في استشهـاد الضرورات ؟ وهل منكم واحد على حياله[8] محقّاً [كان] أو مبطلاً إلاّ وجوابه لنا مثل جواب صاحبه ؟ فإذا كانت القلوب قد تكون عند أنفسهـا [ل ١٨٠ ظ] مستشهدةً للضرورات وهي غير مستشهدة لها وكون القلب كذلك هو علامة الحقّ ، فما الفرق بين قلب المحقّ والمبطل ؟. ومع ذلك إنّا وجدنا صاحبكم قبلكم ووجدناكم بعده قد رجعتم عن أقاويل كثيرة بعد أن كان جوابكم لمن سألكم : «ما يؤمنكم أن تكونوا[9] على باطل ؟» ، أن تقولوا[10] : «استشهادنا للضرورات» ، ونحن لو سألناكم عمّا رجعتم عنه ؛

---

١) لعل جواباً قد سقط .
٢) ل : الضروريات .
٣) ل : ولستم .
٤) ل و اخ : يختلفون .
٥) سقط من اخ .
٦) ل و اخ : يكون .
٧) ل : اذا .
٨) ل : حياله .
٩) ل و اخ : يكونوا .
١٠) ل و اخ : يقولوا .

فقلنا لكم : « لعلكم على خطإ ولعلكم من هذه الأقاويل على غرر » لم يعد جوابكم استشهاد الضرورات .

=

[...] ثم إني واصفٌ قولي في المعرفة ومجيبٌ خصمي في معنى الاستطاعة وفي أيّ أوجُبِها[1] يحسن التكليف وتثبت الحجّة ، ومع أيّها[2] يُسمح التكليف وتسقط الحجّة[3] .

فأوّل ما أقول في ذلك أن الله — جلّ ذكره — لا يكلّف أحدًا فعل شيء ولا تركه إلاّ وهو مقطوع العذر زائل الحجّة ولن[4] يكون العبد كذلك إلاّ وهو صحيح البنية معتدل المزاج وافر الأسباب مخلّى السرب عالم بكيفيّة الفعل حاضر النوازع [ل ١٨١ و] معدّل الخواطر عارف بما عليه وله ؛ ولن[5] يكون العبد مستطيعاً في الحقيقة دون هذه الخصال المعدودة والحالات المعروفة التي عليها مجاري الأفعال ومن أجلها يكون الاختيار ولما يحسن التكليف ويجب[6] الفرض ويجوز العقاب ويحسن الثواب ؛ ولو كان الإنسان متى كان صحيحاً كان مستطيعاً لكان[7] مَن لا سُلّمَ له للصعود مستطيعاً ؛ ولن[8] يكون [اخ ٨٤ ظ] أيضاً مع ذلك كلّه للفعل مختارًا وله في الحقيقة دون انجاز مستطيعاً إلاّ وجميع أوامره في وزن جميع زواجره ؛ حتى إذا قابلت بين مرجوّهما[9] ومخوفها[10] وبين تقديم اللذّة وخوف الآخرة وبين تعجيل المكروه وتأميل[11] العاقبة وجدتها في الجذب[12] والدفع وفي التبض والبسط سواء ؛ ولا يكون ايضاً كذلك إلاّ وبقاؤه في الحال الثانية معلوم لأن الفعل حارس والطباع محروسة[13] والنفس عليها موقفة ؛ فإن كان الحارس أقوى من طباعها كان ميل النفس معه [ل ١٨١ ظ] طباعاً ، لأن من شأن النفس الميلَ إلى اقوى الحارسين[14] وأمتن السببين ؛ ومتى كانت القوّتان متكافئتين كان الفعل أختيارًا ومن حدّ[15] الغلبة خارجاً ؛ وإن كانت الغلبة تختلف في اللين والشدة وبعضها أخفى وبعضها أظهر — كفرار

١) ل و اخ : وجهها .
٢) اخ : انها .
٣) سقط من ل .
٤) ل و اخ : وان .
٥) اخ : وان .
٦) اخ : ويجب .
٧) ل و اخ : لكن .
٨) اخ : وان .
٩) ل : مرجوها .
١٠) ل : ومخوفها .
١١) كذا ولعل الصواب : تأجيل .
١٢) ل : الجذر ، اخ : الجذ .
١٣) كذا في الاصل ، والصواب : محروس .
١٤) ل : الحارس ؛ اخ : بدون فقط .
١٥) ل : جد .

الإنسان من وَهَج السموم إذا لم يحضره دواعي التبر وأسباب المكث وهو من طب الحريق أشدّ نفرة وأبعد وثبة وأسرع حركة ؛ ومتى قويت الطبيعة على العقل أوهنته وغيّرته ؛ ومتى توهّن وتغيّر تغيّرت[1] المعاني في وهمه وتمثّلت له على غير حقيقتها ؛ ومتى كان كذلك كان عن إدراك ما عليه في العاقبة [أبعد][2] وزيّنت له الشهوات ركوب ما في العاجلة ؛ ومتى أيضاً فضلت[3] قوى عقله على قوى طبائعه أوهنت طبائعه ، ومتى كانت كذلك آثر الحزم والآجلة على اللذّة العاجلة طبعاً لا يمتنع منه وواجباً[4] لا يستطيع غيره ؛ وإنما تكون النفس مختارة في الحقيقة [ل ١٨٢ و] ومجانبة لفعل الطبيعة إذا كانت أخلاطُها معتدلة وأسبابها متساوية وعللُها متكافئة ؛ فإذا عدّل الله تركيبه وسوّى أسبابه وعرّفه ما عليه وله ، كان الإنسان للفعل[5] مستطيعاً في الحقيقة وكان التكليف لازماً له بالحجة .

ولولا أنّك تحتاج إلى التعريف بأنّ المأمور المنهيّ لا بد له من التسوية والتعديل لما قال الله تعالى ﴿ والأرض وما طحاها ونفس وما سوّاها فألهمها فجورَها وتقواها ﴾[6] ؛ ولو جاز أن يعلم موضع غيّها ورشدها من غير أن يسوّيها ويبيّنها لكان ذكرُ التسوية فضلاً من القول ؛ والله يتعالى عن هذا وشبيهه علوّاً كبيراً .

[....] فصل في جواب مَن يسأل عن المعرفة أباضطرار[7] هي أم باكتساب :

قلنا : إنّ الناس لم يعرفوا الله إلاّ من قبَل الرسُل ولم يعرفوه من قبل الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والزيادة والنقصان ؛ على أنّا لا نشكّ أنّ رجالاً [ل ١٨٢ ظ] من الموحّدين قد عرفوا وجوهاً من الدلالة على الله بعد أن عرفوه من [اخ ٨٥ و] الرسل ، فتكلّفوا من ذلك ما لم يجب عليهم وأصابوا من غامض العلم ما لا يقدر عليه عوامّهم ، من غير أن يكونوا تكلّفوا ذلك لشكّ وجدوه أو حيرة خافوها ، لأنّ أعلام الرسل متنعة ودلائلها واضحة وشواهدها متجلّية وسلطانها قاهر وبرهانها ظاهر .

فإن قالوا[8] : أباكتساب[9] علموا صدق الرسل أم باضطرار ؟ — قلنا : باضطرار .

---

١) ل و اخ : وتغيرت .
٢) زيادة يقتضيها السياق .
٣) اخ : فصلت .
٤) ل : وواجب .
٥) ل : للعقل .
٦) سورة الشمس ، ٩١ : ٦–٨
٧) ل و اخ : باضطرار .
٨) ل و اخ : قال .
٩) ل : بالكتساب .

فإن قالوا : فخبّرونا على مَن عاين النبيّ صلى الله عليه وسلّم وحجّته والمتنبي وحيلته كيف يعلم[1] صدق النبي من كذب المتنبي وهو لم ينظر ولم يفكّر ؟ فان قلتم إنّه نظر وفكّر فقد رجعتم إلى الاكتساب ؛ وإن قلتم إنّه لم ينظر ولم يفكّر : فلِمَ عرف الفصل[2] بينهما دون أن يجهله ؛ وكيف علم ذلك وهو لا يعرف الحجّة من الحيلة ؟ وما يؤمنه أن يكون مبطلاً إذ[3] كان لم ينظر في أمور الدنيا ولم يختبر معانيها حتى يعرف الممتنع من الممكن وما لا يزال يكون بالاتّفاق ممّا لا يمكن ذلك فيه ؛ وكيف ولِمَ[4] يعرف العادة ومجرى الطبيعة . وإلى أين تبلغ الحيلة [ل ١٨٣ و] وأين تعجز الحيلولة[5] ؛ وعند أيّ ضرب تستقطان[6] وعلى أيّ ضرب تتوميان[7] ، ولِمَ عرف صدق النبيّ حين عاين شاهده وأبصر أعاجيبه من غير امتحان وتعقّب لمعانيها دون أن يعتقد صدق المتنبي إذا أورد عليه أعاجيبه وخدّعه وحيلته ؟ بل كيف لم يعرف الله حين وقع بصره على الدنيا من غير فكرة فيها وتقليب[8] لأمرها ، والدنيا بأسرها دلالةٌ عمّا[9] عرف صدق النبي حين أبصر دلالتها من غير تفكير فيها وتقليب[10] لأمرها ، وقد علمنا أنّ الدنيا دالّة كما[11] أنّ شواهد النبيّ دالّة ؛ ومتى كان ظاهر أحدهما يُغني عن التفكير كان الآخر مثله ، إذ[12] لم يكن في القياس بينهما فرقٌ ولا في المعقول فصل[13] ؟ قلنا : إن تجارب البالغ قبل أن يهجم على دلالات الرسل تأتي[14] على جميع ذلك ؛ ولعمري لو[15] كان هجومه عليها قبل المعرفة بمجاري [الأمور] وتصريف الدهور وعلقات[16] الدنيا والتجربة لتصريف أمورها ؛ لمّا وصل [ل ١٨٣ ظ] إلى معرفة صدق النبيّ إلاّ بعد مقدّمات كثيرة وترتيبات منزّلة لأن مشاهد الشواهد إنما يضطرّه المشاهدة لما إذا كان قد جرّب الدنيا وعرف تصرّفها وعادتها قبل ذلك ؛ ولو لم يكن جرّبها قبل ذلك حتى[17] عرف منتهى قوّة بطش الإنسان وحيلته وعرف الممكن من

---

١) ل : تعلم .
٢) ل : الفضل .
٣) ل : اذا .
٤) اخ : لم .
٥) اخ : الحيلو .
٦) ل واخ : يسقطان .
٧) ل واخ : يقومان .
٨) ل : وتقلب . —
٩) كذا ، ويغلب على الظن ان الصواب وقد .
١٠) ل : او تقليب .
١١) ل : هل .
١٢) ل و اخ : اذا .
١٣) ل واخ : فضل .
١٤) ل و اخ : يأتي .
١٥) ل واخ : ان لو .
١٦) اخ : بدون نقط .
١٧) ل : حين .

المستنع وما يمكن كونه[1] بالاتّفاق ممّا لا يمكن. لمّا عرف [ا خ ٨٥ ظ] ذلك.

فإن قالوا: وكيف جرّب ذلك وعقلَه وأتقنه وحفظه، وهو طفل غرير وحَدَث صغير، لأن غير البالغ طفلٌ إلى أن يبلغ وحين بلغ[2] فقد حجم على النبيّ وشواهده أو هجم عليه النبيّ بشواهده إمّا بخبر مستفيض أو بعيان شاف: ففي أيّة الحالين جرّب وعرف وميّز وحفظ: أفي[3] حال الطفولة والغرارة — وهذا غير معروف في التجربة والعادة، والذي عليه رُكّبت الطبيعة — أم في حال البلوغ والتمام — وحال البلوغ هي الحال التي [فيها] أبلغه الله الرسالة وقاده إلى رؤية الحجّة واستماع البرهان ومخرج الرسالة؟ فإن[4] كان الأمر [ل ١٨٤ و] كما تقولون فقد كان ينبغي أن لا يصل إلى العلم بصدق النبيّ وقد أراه برهانه وأسمعه حجّته[5] حتى تمكّث بعد ذلك دهراً يمتحن الدنيا ويتعقّب أمورها ويعمل التجربة فيها؛ فإن كان ذلك كذلك فلم سمّيتموه بالغاً وليس في طاقته بعدُ العلم بفصل[6] ما بين النبيّ والمتنبي؟ — قلنا: إن التجربة على ضربين: أحدُهما [أن] يقصد الرجل إلى امتحان شيء ليعرف مخبره كما[7] عرف منظره؛ والآخر أن يهجم على علم ذلك من غير قصد؛ وقد يسمّى الإنسان مجرّباً قاصداً أو هاجما؛ فيزعم أن البالغ مذ[8] سقط من بطن أمّه إلى أن يبلغ متقلّبٌ في الأمور المختلفة[9] ومصرّفٌ في خلال الحالات المعروفة[10] التي تلقحه الدنيا بما تورد عليه من عجائبها؛ ويزداد في كل ساعة معرفةً وتفيده[11] الأيّام في كلّ يوم تجربةً؛ كما يزداد لسانه قوّةً وعظمُه صلابةً ولحمه شدّةً، من أمّ تناغيه وظئر تُلهيه وطفل يلاعبه وطبيب يعالجه ونفس تدعوه وطبيعة تعينه وشهوة تبعثه [ل ١٨٤ ظ] ووجع يقلقه؛ كما يزيد[12] الزمان في قوّته ويشدّ من عظمه ولحمه ويزيده الغذاءُ عظماً وكثرةُ الغضب والتقليب جَلَداً؛ فاذا درج وحبا وضحك وبكى وأمكنه أن يكسر إناءً أو يكبّه[13] أو يسوّد ثوباً أو يضرب صبيّاً [فضرب] دُبُرَه[14] الخادم وانتهره[15] القيّم؛ فلا يزال ذلك دأبه ودأبهم

---

١) ل: قوله.
٢) ل و اخ: يبلغ.
٣) ل: في؛ اخ: اوفى.
٤) ل: فاذا.
٥) اخ: حجبه.
٦) يفصل.
٧) ل: واخ: عما.
٨) ل: قد.
٩) ل: اختلة؛ اخ: اختلة.
١٠) ل واخ: المعرفة.
١١) اخ: ويفيده.
١٢) ل و اخ: ويزيده.
١٣) ل و اخ: يكفيه.
١٤) ل: او يضرب دبره الخادم؛ اخ: او يضرب صبياً دبره الخادم.
١٥) اخ: وانتهره.

حتى يفهم الإشراء والزجر والتعدية[1] والانتهار : كما يعرف الكلب اسمه إذا ألحّ عليه الكلّابُ به وكما يعرف المجنون لقبه وكما يحذر الفَرَس من وقع السوط لكثرة وقعه بعد وقعه عليه .

[...] فإذا استحكمت هذه الأمور في قلبه وثبتت[2] في خلده وصحّت في معرفته فهو [ا خ ٨٦ و] حينئذ بالغ محتمل وعند ذلك يسخّر الله سمعه للخبر المثلج أو بصرَه لمعاينة الشاهد المُقنع على يدي الرسول الصادق ؛ ولا يتركه هملاً ولا يدعه مُغفَلاً ؛ وقد عدّل طبعه وأحكم صنعه ووفّر أسبابه ؛ فلا يحتاج عند معاينته رسولاً يُحيي [ل ١٨٥ و] الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويفلق البحر . إلى تفكير[3] ولا تمثيل[4] ولا امتحان ولا تجربة ، لأنّه قد فرغ من ذلك أجمع واستحكم عنده العلم الذي[5] أدّب به وهُيّأ له وأُورد عليه ؛ فإن كان لم يكن لذلك عامداً ولا إليه قاصداً ولا به معنيّاً[6] ؛ وإنما هو عبدٌ عبّأه سيّده ورشّحه مولاه وهيّأه خالقه لأمر لا يشعر به من مصلحته ولا يخطر على باله من الصنع له حين غذّاه به وقّاده إليه وهيّأه له ، فإذا ورد عليه دعوى رسوله ، وأمّته تشيد له بإحياء الموتى وفلق البحر وبكلّ شيء قد عرف عجز البشر عن فعله والقوّة عليه ، علم بتجاربه المتقدمة لعادة[7] الدنيا أن ذلك [ليس] من صنع البشر وأن مثله لا يقع اتّفاقاً وأن الحيل لا تبلغه ؛ فلا يمتنع من رؤية البرهان وفهم الدعوى أن يعلم أنّ الرسول صادق وأن الرادّ عليه كاذب .

[...] ولولا أن هذا كلام[8] لم يكن من ذكره بدّ لأنّه تأسيس[9] لما بعده ومقدمة[10] [ل ١٨٥ ظ] لما بين يديه وتوطئة له ؛ لاقتضبتُ[11] الكلام في المعرفة اقتضاباً ، ولكن يمنعني عجز أكثر الناس عن فهم غايتي فيه إلاّ تنزيله وترتيبه ؛ وكل كلام أتيتَ على فرعه ولم تُخبر عن أصله فهو خداج لا غناء عنده وواهن لاثبات له .

---

١) ل : والتغذية .
٢) ل : وثبت .
٣) ل : تمكير .
٤) ل : تميل .
٥) اخ : بالذي .
٦) ل و اخ : مغيباً .
٧) ل و اخ : بعادة .
٨) ل : الكلام .
٩) ل و اخ : لا تأسيس .
١٠) ل : ومقدمته .
١١) ل : لا اقتضبت .

الايمان المسيحي والالحاد اليوم

بقلم الأب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

عالمنا في تغيّر جذري. نشهد اليوم ولادة عالم جديد. فالمفاهيم تتبدّل وطرق الحياة تتقلّب وتفكير الإنسان يتحرّر من تقاليد اثقلته فيعود من دنيا الماورائي الى دنيا الاختبار حيث ينقضي أعماره وحيث الألم والفرح وحيث الجوع واللذة والموت.

دنيا الاختبار ، دنيا العلم والتقنيّة ، دنيا الاكتشافات حيث عقل الانسان سيّد ولا سيّد إلاّه. ولم التوق الى ما وراء الآفاق الانسانية ولم اللجوء الى الاسرار ولم الفزع الى الله؟

كان إنسان البارحة يتوق الى الاستقلال الذاتي ، الى الحرية المطلقة التي تميّزه. وكانت صلاته العائلية والمهنيّة تكوّن أعظم أوقات حياته. له نفسانيّة لا يدخلها أحد ولا يُعرف منها شيء ما لم يتنازل الانسان ويُعطي في ذكرياته تحليلاً عمّا يختلج به قلبه من اشواق وتوق وأمل وتقلّبات عاطفية وطموح الى الله. وفي خدمة هذا الانسان كان المجتمع. ولطالما سمعنا الكتّاب والفلاسفة والوعّاظ يتكلمون على كرامة الشخص البشري وضرورة احترامه وقيمته اذ كُوِّن على وجه الخالق الذي يراه بعطف لا يعلوه عطف.

امّا انسان اليوم فيعيش خارج نفسانيّته. شخصيّة لا يتملك عليها الاّ في صلته بغيره. ولن يكون لإنسان اليوم من وجود ما لم يتعرّف على غيره ويلتصق به. فهو لا يعيش في استقلال ولكن في تسيبّة الى غيره والابعاد الاجتماعية هي من صلب شخصية انسان اليوم وانسان الغد. فانها اساسية لتكوينه. فلن نستطيع بعد اليوم ان نقول انّ الانسان شخص

يُخدم . انما علينا ان نقول إنه عضو في مجتمع يتكاتف مع اخيه الانسان لصالح الجميع .

فبينا تتحوّل العقلية على هذا الشكل ، وبينا الانسان يكتشف نفسه قوياً بالتكاتف مع اخيه الانسان . وبينا يعلم بالاختبار اليومي ان بوسعه ان يخدم أخاه الإنسان دون عودة مستمرّة الى قوة علويّة سرمدية لا يراها ولا يعلم عنها الاّ ما علمه اياّه الوحي والكنيسة فيقوم انسان اليوم الى الدعوة الصافية ان الانسان مخلّص اخيه الانسان وان الانسان ربّ الكون وأن على الله ان يموت ليعيش الانسان ؛ اذ لن يحيا الانسان ما لم يمت الله . هذا ما يسمّيه بعض لاهوتيي هذا العصر بلاهوت موت الله . انتصر لهذه النكرة الملحدة ، اول من انتصر ، الفيلسوف الالماني نيتشه وبعده الكاتب الفرنسي سارتر وجانسن وغيرهم تسندهم بعض الحركات الاجتماعية القويّة كالشيوعيّة ومن انتمى اليها والى افكارها وقوانينها من الحركات الاجتماعية التي تدين بالنكرة التالية : يجب ان يعيش الانسان من الخبز لا من افكار وعقائد وان مّتّ : يجب ان يكون له في هذه الارض المأوى والمسكن والعيش واللباس ولا يتوق الى غير ذلك . وما عدا ذلك فهو أفكار يجب بترُها وهدمُها والتخلي عنها . قرون مضت كان فيها الانسان عابداً ومعفّراً الجبين امام الالوهية وها هو اليوم يجوع ويعطش ويموت فلم ينفعه دين ولم تسانده عقيدة ولم يفرّحه ايمان .

ولمَ اذاً كل هذا فليعد الانسان الى نفسه وليكن محور حياته ولا يرضى بمحور غيره فيخلُص .

هذه صورة مصغّرة عن الحاد اليوم وعلينا الآن ان نكتشف اسباب هذا الابتعاد عن الله وهذا التحدي المقيت. انما علينا قبل ذلك ، ان نحلّل من الاسباب اهمّها ، ان لا نزدري بالملحد وله صدق حياة واستقامة ضمير وصواب تفكير ، علينا ان نحترمه . ولربما ساعدنا الملحد ان نقوّم السبل التي نسلك وان نجدّد التفكير الذي نفكّر ونبتعد عمّا يفصل في حياتنا بين الايمان والعمل . فنوحّد بينهما ، وتكون شهادتنا اقوى برهان يجعل الملحد يفكّر ويعود عن غيّه الى الطريق المستقيمة التي بدؤها الله وغايتها الله

في محبّة تفتح ذراعيها لتُعطي . وتضمّها في النهاية على من اراد بضمير صاف وارادة حيّة ووعي روحاني ان يسير على طرق الحياة . وهدفُه الاستقامة وخدمة القريب والتفتيش المستمرّ عن المطلق في وجه اخيه الانسان ليجد يوماً المسيح المخلص في كنيسة ؛ وان كان اعضاؤها خطأة : تظلّ عامود نور وطريق الخلاص واحدي .

لم يتوقّف المجمع المسكوني الڤاتيكاني الثاني عند ذم الالحاد والحكم عليه . وهي امور مفروغ منها اذ كان الباباوان بيوس الحادي عشر وبيوس الثاني عشر قد اصدرا رسائل دينية اجتماعية تفنّد آراء الملحدين ومذاهبهم الفلسفية العقائدية وتنبذها كمغايرة للمسيح وللدين وللكنيسة وللشخص البشري بالذات . فاراد المجمع ، « في أمانته لله وللانسان ، وفي نبذه بألم وبقوّة ما بعدها قوة ، المبادئ الإلحادية » أن ينحني على الملحدين أنفسهم وأن يستخلص الأدلّة والبراهين التي تتركّز عليها مواقفهم وتبرّر مطاليبهم . فتكلّم على الملحدين باحترام كلّي ورحبّ أن يرى ، بادئ ذي بدء ، في وجهة نظرهم ، الصدق والاستقامة .

فمن هو الملحد ؟

ليس الملحد من اذا رفض هذا الدين أو ذاك ، وآمن بوجود كائن مطلق هو بدء الخليقة وغايتها ، يعود الى ضميره فيعيش حسب اوامره ونواهيه ويُخضع حياته لمقتضيات والتزامات الشريعة الطبيعية التي هي في اعماق الضمير صوت الخالق . وكم من الذين لا يمارسون دينهم في البلاد المسيحية نستطيع ان نراهم من خلال هذه الصورة . فهم ، وإن لم يمارسوا دينهم ، يظلّون مؤمنين لا ملحدين .

ولكن أنستطيع أن ندعو ملحداً مَن لم يتساءل ابداً عن وجود الله ، وهو خال من كلّ حيرة وقلق ديني روحاني ، غير آبه للدين ، وذلك اما لقلّة اهتمام او لقلة ذكاء في الانسان واما لحب الاقتداء بصديق او لعدم توفّر الوقت ، اذ الحياة تمتصّ الحيوية كلها ولا تدع الإنسان يعود إلى قرارة نفسه ليتساءل ويفكّر ؟

امّا الملحد فهو ذلك الذي بارادة واضحة يرفض وجود الكائن المطلق ، خالق الانسان وربّه . به يعيش الإنسان وإليه يعود .

وهنا السؤال الذي علينا أن نطرحه : أمن الممكن ان يرفض الانسان وجود الله . وقد قال كاتب فرنسي : وجود الله لا يتعلّق بقبول او برفض عبيده . كما أن الشمس لا تطاقا الامساخ التي تُنير . او بعبارة أخرى : ايستطيع الإنسان ان يقول ان الله غير ممكن ليضمحلّ الله من الوجود وليُترك الكونُ والانسان لقوى لا يُعرف اصلها ولا تقدّر ابعادها . وبعبارة اخرى : الالحاد النظري ممكن هو ؟ والانسان لا يستطيع ان يفوه بكلمة دون ان تستند تلك الكلمة الى الله لتكون في الوجود آمنة واضحة ثابتة . ولكن ما لنا وللالحاد النظري وعلينا أن نحلّل أسباب إلحاد اليوم .

والسبب الاوّل هو عبادة العلم ونسيانّة الحقيقة :

ينكمش الانسان على نفسه ويكتشف قوته في الابداع فيعود ويقول : لا شيء خارجاً عمّا نراه ونتحسّسه . فمن انكماشه على نفسه الى الإنكماش على الكون وما فيه ، ومن الانكماش على الكون إلى نكران وجود الله خطوة صغيرة حملت الانسان الى رفض مسبّب الكون وإلى رفض كل شرح يُعيد للكون معناه وقيمته . إنما الملحد يقول : ولم كلّ تلك السؤالات ؟ فهي تضييع الوقت والوقت لبنيان المدنية الحديثة وخلاص الانسان . فلا حاجة الى السؤالات عن وجود الله ، والعلم والاقتصاد يشرحان الانسان في كل متطلّباته ويعيدان اليه نشاطه وقوته واعتبار نفسه . فلا يخضع لآخر لا يعرفه ولا يستسلم لقوى غريبة عنه .

امّا النسية فهي أن يقول الانسان : كيف يستطيع بشر ان يتوصّل الى الحقيقة المطلقة وهو محصور بين جدران هذا العالم ، وهو فانٍ ، وهو يتطوّر ، فما عبدهُ وهو صغير ، يرفضه في سن البلوغ . فلا حقيقة مطلقة ولا كائن مطلق انما الحقيقة نسيّة ترافق العمل وترافق الانتاج ولا حاجة الى غير ذلك . كفى الانسان ما ينير طريقه اليوم .

أمّا السبب الثاني لإلحاد اليوم فهو تعلّق الانسان بالانسان . وكأني بانسان

اليوم يتعلّق بالانسان اكثر من انه ينفي وجود الله. فوجود الله يتوارى وراء اهتمام الانسان بالانسان، فيتناسى المخلوق خالقه وينساه ولا يعود أبداً لملاقاته. وقد وجد في أخيه الانسان وفي مساندته لينال ملء الثقافة والتحرّر والعلم كل ما يبتغيه على هذه الأرض. ولذا نرى الفلسفة والعلم والآداب تحصر مهمّتها بالانسان لدرجة ان العلوم اللاهوتيّة، تجاوباً مع تطوّر الفكر الانساني في هذه الوجهة تأخذ من الانسان بدء تفكيرها وتعود الى الله الباري والعاطي والمثيب، لتعطي للانسان ولا يصدر عنه ركيزته الأصلية والاسس التي بدونها يهوي دون رجعة.

ترنّ في آذانهم كلمات الفيلسوف الملحد جان بول سارتر: تبني الانسان اذا انكرتَ الله. وتُنكر الانسان اذا اقررت بالله. وكأن الله عدو الانسان وكأن عودة الإنسان الى الله، عودة الى ما يهدم الإنسان ويكبّل حرّيته ويستعبده ويجعله شيئاً بين الأشياء: لا ذلك الشخص الذي إذا استند إلى خالقه وَجَدَ الكرامة التي منبعها منه، والحرّية التي لا سند لها الاّه: وقد أراد ان يصير إنساناً ليتآخى والانسان وليعيش معه معركة الحياة في نضال مستمرّ في التفتيش عن الكمال الذي هو الله. وربما في ما سيأتي من التحليل توضيح لهذه النقطة.

٥

والسبب الثالث لإلحاد اليوم هو الفكرة الخاطئة او الصورة التي تعلّمها الملحدون عن الله او التي وجدوها في محيطهم. فبرفضهم تلك الفكرة او تلك الصورة رفضوا اله الإنجيل، اله ابراهيم واسحق ويعقوب وابا سيّدنا يسوع المسيح.

علينا ان نقف هنا متأملين مسؤولية المسيحيين في ابداء هذه الفكرة المغلوطة أو تلك الصورة المزيّفة للاله الحقيقي، الاب الذي حنته رأفته فاحبّ ان يخلق الانسان على صورته ومثاله، للصديق الذي يرافق الانسان في ألمه، يتألم معه ويفرح معه وقد أراد الانسان كاملاً، سائراً على طريق الخلاص، يضع كل مقدراته في سبيل اخيه الأنسان، يعيش معه متآخياً في ألفة وحنان ومحبة ليسير واياه الى الغاية الوحيدة، رؤيا الخالق في ابدية غبطة وفرح.

إنما علمنا الطفل صورة لا تفي بحق الله . وجعلنا الله ذلك الجبّار الذي بسيفه يناظر الانسان فيتدبّر امورد لا برفق وحنان ولكن بقساوة مآلها جهنم النار . نعم الله العادل وجهنم موجودة والمسيح الاله تكلّم مرات عليها في انجيله الكريم . انما الحياة المسيحية قبل ان تكون حياةً سلبية تُقضى في الخوف والوجل هي حياة ايجابية تُقضى مع المسيح في خدمة وعطاء . في بذل وسخاء ؛ في شهادة للاب السماوي وللمسيح المخلّص . وتكوّن تيّار تكاتف وحوار مجدي ليرفع المسيحي . ايًّا كان ، محيطه ويسير به الى مستوى الاية السماوية دون ذعر او توان ودون اهمال . وهذا ما نراه في الانجيل اذ شبّه الحياة مع الله بالوليمة . والانجيل لوقا يُدعى انجيل الفرح وبولس الرسول ردّد والحّ ان الحياة مع الله فرح هي وغبطة في نور ضمير واستقامة ارادة واستمرار عطاء لا في ضغينة وحقد او في بعض العبادات وتكاثرها او في بعض الركعات والمطانيات التي لا تجدي نفعاً الّم تكن مروحنة بالروح وبالمحبة الصادقة ، بالأمانة المستمرة لخير القريب ولخير العامّ .

ولهذا يعود المجمع المسكوني فيقول ان تنقّي فكرة الله والصورة التي نبرزها للعالم ، اي ان نعود للانجيل : وكلام المسيح رب الكلام ، اذ ، كما يقول الفيلسوف باسكال : لا يتكلّم حسناً على الله الاّ الله .

•

والسبب الرابع لإلحاد اليوم هو مشكلة الشرّ . مشكلة المشاكل . وكأنّ الله خلق الأبرياء ليعذبهم ، وجعل الألم في الطفل ليراقبه ويفرح ، وخلق الموت ليخيف الانسان .

مشكلة الألم حجر عثرة أمام إنسان اليوم : لمَ الغني والفقير . لمَ الفرح والحزن ؛ لمَ المعذّب والمتنعّم . فاذا كان الله صالحاً وعادلاً لمَ هذا التفاوت في الحياة وفي اقتسام خيرات هذه الحياة . فالمسؤولية عليه تقع واليه تعود . ولا مردّ لكلام الملحد الذي يقف مذعوراً امام شقاء وتعاسة البعض ، القسم الكبير من البشريّة . ويستنتج : لا إله ولا معبود . اذ لو كان حقيقة لما سمح بهذا الشقاء وبتلك التعاسة .

ولا ينظر الملحد إلى الخطيئة التي ارتكبها ويرتكبها الإنسان بحريّة تامّة ، غير آبه لما ينتج عنها من أنانية وأثرة ، من بغض وغيرة ، من تسلّط

وجود. فاذا كان الله مسبّب الخطيئة ؛ وهو العالم المطلق والخير المطلق؛ فحسناً يصنع الملحد بأن يرفضه وينفي وجوده. واذا كان الانسان حرًّا في توجيه حياته. حتى وفي اهانة الله ؛ فلمَ نجرّم الله ونتركه مسؤولا عمّا ينتج من عمل الانسان الذي به يريد ان يؤكد استقلاله عن الله وحريّته كبشر حتى وان كسر بينه وبين خالقه، وبالتالي بينه وبين اخيه الانسان اواصر المحبة والألفة والسلام؟

نعم. لا ننكر ان المسيحيين في أزمنة غابرة كانوا يمثّلون الله حامياً للثروة ومدافعاً عن الأغنياء. لا نُنكر أنهم اعطوه سيف النقمة لينتصر لمن يساعدون الكنيسة ويستعبدون الانسان. ولكن لم يمثّلوا هؤلاء العقيدة في صفائها ولا الدين في جماله وفعاليّته. كانت أزمنة ومضت والحمد لله. والكنيسة في كل هذه الأزمنة الغابرة كانت دوماً تدعو الجميع الى محبة صافية والى امانة كاملة ، وان غضّت النظر بين الحين والحين مستسلمةً لأهواء بعض الأفراد. انما كانت دوماً تنفض الغبار عنها واعضاؤها خطأة لتعود بهم الى القداسة التي هي منبعها بقوّة من أعطاها السلطان لغفران الخطايا ولتقديس البشر ولإراحة الضمائر في عالم هي منه بمثابة الروح من الجسد.

٥

السبب الخامس لإلحاد اليوم هو الآلهة الكذبة التي اختلقها الانسان على صورته ومثاله : كوّن الانسان لنفسه بعض الآلهة كمُثُل يستطيع بها ان يغذي حياته وان يتفوّق على مشاكله فأعطى الرياضة والفن والوطن والعرق والجسد وغيرها من المُثُل قوّة سماوية يتوصّل البعض بواسطتها أن يعيشوا في حرارة انتباه وفي فتور ايمان أمام مشاكل هذه الحياة التي لن تتركهم بعيدين عن القلق والحيرة. كذلك الشيخ الحرم الذي بعد ان قضى الساعات ينتبه لمباريات رياضية في ريو دي جانيرو أخذ يردّد وهو قلق عند انتهائها : أستطيع الآن ان اترك هذه الأرض وقد رأيت ما كنت أريد رؤياه.

فكيف يستطيع أن يعود الى الله من لا تهمّه في هذه الارض الا المباريات الرياضية او جمال الأجساد او حمامات البحر ... ونفسه لا تتعرف

الى اعلى أو هو الذي يُخمد ترقّ نفسه الذي لا يُصدّ ويذرّه بالرماد لتهدئته الى ان يزبل ويدخل في سبات عميق.

والله بعيد عن الحسّيات وافراحه قلبية لا تُرى. وافراح هذا العالم حسّية منظورة قريبة. والانسان ضعيف. فكيف لا تضعف إرادته وتفتر عزيمته أمام ما يقدّمه له الكون من جمال ولذّة فيفضلها على ما يعطيه الله والايمان به في اعماق ارادة وطيّات قلب قال عنه اغسطينس: خلقت قلبنا يا الله وسيظلّ حائرًا الى ان يثبت فيك.

٥

هناك سبب سادس، الا وهو البيئة التي نعيش فيها. فالتمدن اليوم وان لم يكن مرذولاً في أسسه، فانه يرتكز تماماً إلى الأرضيات. وهذه الأرضيات تجعل صعباً التقرّب الى الله.

التمدّن الحديث الذي نعيشه: وكل منا يعلم ذلك: يحصر اهتمام الانسان بما يتعلّق بالانسان نفسه: بحياته الارضية من اكل وكساء وجمع مال وكسب الفوائد الكبرى والاقتصاد والمصانع والرفاهية البيتية الى ما هناك من ضروب الجمالات التي تقهر قلب الانسان وتجعله يلتصق بالارض فلا يعود يعرف لون السماء. وهو، وأظنّه هكذا: وهو: ولست بنبيّ، وهو في هذه المغريات سيغوص: وستكون له سهلة المنال «وبكبسة زر» يُعطى له ما يريد من بارد وحارّ ومن ضروب الراحة إلى ان يشعر في قرارة نفسه أنه استُبعد للمادة وانه اكبر منها: فيعود يصعد سلّم التفكير والتأمّل ليستعيد بين وفرة الحسّيات كرامة نفسه وقيمة انسانيّته، ليكون ويظلّ ملك الأرض ومحور الكون لا عبدّه. فيقترب إذاك إلى الله وتكبر بينه وبين خالقه المودّة الخالصة ويصير إلى ازدياد إلى ان يختبر عظمة الخالق وتفاهة الخليقة.

٥

واخيراً السبب السابع، حياة المؤمنين سبب من اسباب الحاد اليوم وهذا ما يكوّن لنا مشكلة عويصة إن انتبهنا.

ايمان المؤمن، ولا أظنكم ترفضون لي ما سأقول، التزام في بنيان الكون وفي تجديد العالم وفي تكوين ما ليس موجوداً بعد. فمستقبل الكنيسة ليس في أن تظلّ سلبية بلا حراك. كوّن المسيح الاله كنيسته (والمؤمنون كلّهم همّ

الكنيسة) لتنمو ، لتظل في حركة مستمرة . فهي تتوق الى المستقبل كما انها تتوق الى الماضي حيث اساسها وبدء حياتها .

نسمع اليوم وسمعنا في الاشهر الماضية يوم قام الطلاب يطالبون بتجديد في لبنان وخارج لبنان أنه يجب ان يولد عالم جديد . والامور هكذا فكيف يستطيع المؤمن وهو الذي قرأ وطالع كلمة المسيح في الانجيل انه ولد من علٍ ، كيف يستطيع رفض التكاتف في سبيل بنيان الارض الجديدة . وليكن عضواً فعّالاً في تجديد العالم ، عليه ان يعيش هذا التجديد في صميم قلبه وحياته اولاً .

ولكن ، ويا للأسف ، ولكن المؤمن اذا لم يواظب على تربية ايمانه وازدهاره ونموّه ، اذا تغاضى عن ابراز ايمانه بالصورة اللائقة بالخالق والمخلّص ، واذا تكاسل في حياته الايمانية وقتر في الايمان وفي الاخلاق وانزلقت به الرجل الى مهاوي الرذيلة ، واذا لم يعش مع مجتمعه آلامه وافراحه ، عذابه وموته ، وصدّ قلبه عن العطف والحنان وساعد على ان يتّاح التقتر وتخف وطأة التفرقة بين الطبقات الإجتماعية ،

اذا تغاضى عن كل هذا واغمض العين كي لا ترى ما يجب ان يحرّك فيه شواعر الانسان نحو أخيه الانسان ، فهو يسدل الستار الكثيف على وجه الله وعلى الدين ولا يشهد لإيمان هو فيه كلام وشكليّات ليس الاّ .

عظيمة اذاً هي مسؤولية المؤمن في عالم اليوم . فلا يكفي حضور القداس ولا الركوع ولا التبرك بالماء المبارك ولا أكل جسد الرب ولا تلاوة المسبحة ولا الصوم ولا الجلد ولا ... ولا ... الّم يكن المسيح حيّاً في حياتنا ، في التفكير والعمل ، في العقل والارادة ، في اللسان والاحكام ، في المعاطاة مع الناس ، وبكلمة واحدة : الّم يكن المسيح الالف والياء في كلامنا وحياتنا العملية ، في الخلوة والمجتمع ، في الظاهر والباطن وهو يتمجّد كما يقول القديس ايرناوس بان يحيا الانسان تلك الحياة العميقة التي تبدّل وتغيّر ، التي تبتر وتنقي لتزدهر وتزداد .

فكم من وثنيّ خارج الكنيسة يقول اغسطينس ، سيخلص . وكم من مؤمن داخل الكنيسة سيُدان لانه عرف ما هو النور وفضل الظلمة على النور .

وكم في اختباركم وفي اختباري نستطيع أن ندلّل على هذا وذاك من الذين تركوا الكنيسة ويعيشون وكأنهم لم يعتمدوا بدم المسيح من جرّاء هذا الكاهن الذي ليست حياته كهنوتية صادقة ؛ او من جرّاء هذا أو ذاك هذه او تلك من الرجال او النساء ممّن يقومون ببعض الواجبات الدينية وحياتهم بعيدة كل البعد عن المحبة في اللسان والأحكام وفي المجتمع وعمل الخير ومحبة التقريب وصفاء النيّة في البيع والشراء وفي كل مظاهر الحياة ؛ يأخذون الدين مطيّة ولا ايمان لهم . يأخذون الدين كظاهرة اجتماعية لا بدّ منها ؛ يستحون ان لا يقوموا بواجبها امام الغير ولا يأبهون لروح تروحن اعمالهم وتجعلها على مستوى المظاهر الدينية . فالدين شكليات والايمان محبة. فالدين الّم يتفاعل بالايمان ظلّ حركات خارجية فارغة مضلّة ومضلّلة . فالمسيح هو هو من نؤمن به وهو من يروحن الدين ويوفّق ويؤالف بين الدين والايمان.

=

هذا بعض الشيء من الأسباب التي تسهّل الالحاد . فما هو الدواء . اتينا على ذكر الدواء ونحن نحلل الاسباب تلك . انما علينا ان نتوسّع بهذا.

=

يتوقع المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ان يكون هذا الدواء في عرض العقيدة المسيحيّة عرضاً وافياً صادقاً من جهة ، ومن جهة ثانية في طهارة حياة الكنيسة وحياة اعضائها .

الكنيسة مسؤولة في أن يرى من خلالها وهي تتجدد بالروح القدس وبتوجيهه كل من ينظر اليها وجه الآب السماوي بكل ما فيه من عطف وابوّة وحنان ومحبّة ؛ ووجه الابن المخلّص يسوع الذي اراد ان يتأنس ليكون واحداً من جمهور البشر ، ويكون وحدتهم ايضاً حسب كلمة القديس ايرناوس : اتى ابن الله وتجسّد وأتانا بكل تجديد . او حسب كلمة اغسطينس : ليس المسيح واحداً من بني البشر فحسب انما هو الذي يوحّدهم ويجمعهم وهو الإله المتأنس .

فالكنيسة اذاً بحياتها تجعل الآب حاضراً . بغيرتها الرسولية على الجميع دون تفرقة تجعله وكأنه ظاهر بين مخلوقاته . بتضحيتها في سبيل الفقير

والمعوزين تجعل المسيح حياً كما كان في حياته التاريخية يحبّ العشّارين والفقراء ويرنو الى من بهم حاجة .

ولكن حضور الله الآب والابن المخلّص يكون فعّالا حتماً وواضحاً اذا ما اتحد المسيحيون قلباً واحداً وارادةً واحدة وهدفاً واحداً ليُظهروا من خلال وحدتهم الايمان الانجيلي . ومن خلال المحبّة التعافية : التي تجمعهم وتجعلهم يتفوّقون على اسباب التفرقة ، سياسيّة كانت أو اجتماعيّة أو فلسفيّة ؛ فعالية كلام المسيح الذي يُحيي ولا يُميت ، الذي وان بتر كل ما هو من الانسان العتيق أعاد الصفاء والحياة الحقّة لتكوين الإنسان الجديد المجدّد .

انما هناك مشكلتان يتورّط فيهما الملحد فيتساءل اولاً : الايمان بالله يضعف الانسان . وثانياً التفكير بالموت وبما بعد الموت يجعل الانسان يهجر الارض ليعيش في عزلة تخنق فيه كل مقدرات طبيعية .

ولكن أيجوز لنا ان نقول ان الايمان بالله يقتل إنسانيتنا ويقلّل من كرامتنا ويستعبد حرّيتنا ويربطُها بأغلال ؟ كيف ذلك وكرامة الانسان من الله : تستند اليه وتتأصّل فيه وهو كمالها . كيف يُعقل ان الله الذي خلق الانسان محبّة ، يهزأ به لدرجة انه يستعبده ويعرقل مسعاه ؟ انما الله يصدّ الانسان مرّات لكي لا يخسر حرّيته في توافه الارض وقد جعله الله له : لا يريده آكلاً خرنوب الخنازير ولكن خبز الحياة والخلاص الذي يوجّه حريته نحو الداخل ، والى الفضائل التي تبني الحرية وتجعلها لا تنساق الى اهوائها ، والحرية ، على ما نعلم كلنا : ليست ان نعمل ما نريد ولكن ان نوجّه مقدراتنا كلّها الى الخير الاعظم حيث الخلاص والقيامة .

امّا ان يهجر المسيحي الارض اذا ما اهتم بالآخرة وما اليها : ففي الأمر نظر . كثيرون يؤخذون بهذا التفكير : فأما الارض وامّا السماء . ولكن ما هي السماء : أن نبني الخير والصلاح على هذه الارض ونجرّب ان تكون الأرض بواسطة الحياة المسيحية ارضاً جديدة فيها محبّة المسيح والألفة بين البشر والسير يداً واحدة نحو الغاية المتوخّاة : وهي ان نكون جميعُنا في روْيا الله ابديّة الازمان التي لا نهاية لها . ولذا فالكنيسة تحثّ ابناءها الى ان يسهموا في بنيان الكون ، وأن يتعاطوا قدر المستطاع الاعمال الدنيوية التي هي لخير الانسان ، وان يقوموا بنشاطات اجتماعية مآلها الخير

العام ، وان يدخلوا في المؤسسات الدولية (ثقافية كانت ام اجتماعية او صحية) فيبثّون فيها روح المسيح ويُسهمون في خدمة اوسع وفعالية اكبر .

والمسيح الاله اعطى المثل اذ تجسّد في ارض معيّنة وفي شعب معيّن وخدم ارضاً معروفة وطلب الى جميع المؤمنين به ان يحبّوا بعضهم بعضاً في صفاء نيّة وفي خدمة نصوح . وعلى المسيحي اذاً ان يقتدي بمعلّمه فيتجسّد في محيطه وفي بيته وفي مهنته ويعطي فيها الروح الطيبة والمثل الخيّر .

وفي هذا المضمار فالكنيسة تطلب الى ابنائها ان يسهموا مع غير المؤمنين في بنيان الكون ، وان يشتركوا معهم في تحسين الاوضاع الاجتماعية وفي إحقاق العدالة الاجتماعية التي طالما تألّم الفقير والعامل من فقدانها في حياته اليوميّة . فيكون المسيحي المؤمن في تكاتفه والحوار الذي يدور بينه وبين غير المؤمنين ، ذلك الذي بحكمة ووداعة يخدم الأرض وهو مؤمن حتماً ان الارض تزول وتتجدّد دوماً . وان زالت يوماً لتتجدّد حتماً فنحيا ينبغي الانسان حياةً تكون حياةً انسانية زاهية سليمة أمينة تقوده الى التفكير بالله وبالروحيّات وتحمله على إحقاق القيم السماوية في نسيج عمله اليومي ؛ في أرض هي مسكنى القداسة لمن يريد وطريق الى الله لمن احبّ .

وان بادر المسيحي الى هذا الحوار والتكاتف فلن يقف عند غير المؤمنين انما يتعدّاهم ويُتمّم حواره حتى مع مضطهدي الكنيسة : فبين غير المؤمنين اناس يقدرون القيم الروحية ويريدون خير المجتمع والانسان. وبين مضطهدي الكنيسة ربما وجد من باستقامة نيّة وصفاء ضمير يحارب الكنيسة لا لأنها مؤسسة دينية روحية ولكن لأنها لم تعط — وفي هذا قلة معرفة او جهل او تجاهل — ما كان عليها ان تعطيه في خدمة الانسان كانسان دون تفرقة بين غني او فقير .

على ان هذا التكاتف والحوار يجب أن يتمّا بفطنة وحكمة كي لا يغرب عن عقل المسيحي كل ما في الالحاد من مرارة عقائدية وتنكّر لخالق القيم ولرب الكون والانسان .

وما هذا التشجيع الذي تسديه الكنيسة لابنائها سوى انها ترى في من يتقنون بوجهها سنداً لها في تطهير نفسها وفي عودة الى الباطن لتستوعب اكثر

فاكثر معنى كلام المسيح وعظمة رسالتها. فهم هنا كمحك يوقف ضميرها لتتخلّص من جديد وبعمق اكبر اساساتها وجوابها على ارادة المسيح الواضحة. ولكي نرى اذا ما كان في مواقفها التاريخية او الراهنة سببٌ لشك او سببٌ لابتعاد البعض عن المسيح. وهي هكذا فانها تطلب من غير المؤمنين ان يعودوا الى انفسهم ليدرسوا انجيل الرب باستقامة وبدون احكام سابقة فيرون فيه ما يطمحون اليه، ويصير الله، في نظرهم، لا ذلك الذي رذلوه في المتحف ووصفوه بان لا قيمة له ولا منفعة، بل وانه مضرّ، يصير في نظرهم ذلك الذي حنته محبّته الى الانسان فاحبّه وجعل سكناه مع بني البشر فاراد ان يحرّرهم من عبودية الخطيئة ويعطيهم فرح الضمير وسرور القلب، يدعوهم جميعاً الى الخير والكمال في هذه الدنيا ليتمّ الهدف الوحيد اللائق بخليقة الله: ان يجتمع البشر كلّهم في وحدة متراصة معه ومع المخلّص ومع الروح القدس.

٥

الختام

المسيحي مدعو الى عمل نور وشجاعة. فهو نور العالم، وملح الارض والخميرة في العجين، حسب كلام المسيح الاله. فاذا كان يعود للسلطة الكنسية ان تعلّم وتفسّر بصورة صادقة المبادئ الدينية والاخلاقية، فان مسؤولية المسيحي هي في ان يبادر في بث الروح المسيحية في العقلية الراهنة وفي الحياة اليومية، في القوانين وفي المجتمع.

هناك تبديلات لا بدّ منها واصلاحات ضرورية يفرضها الزمن وتطوير العقليات: على المسيحي ان ينفخ فيها روح الانجيل. ففي هذا الخير والتطور الصادق كي لا تستعبد الاصلاحات العتيدة انسان اليوم كما استُعبد في الماضي، كي لا يتكوّن بعض الاجحاف ويصير الانسان إلى الخراب. فثورة الانجيل ليست ثورة القوة والعنف الوثني، لكنها ثورة المحبّة تمثلاً بالمسيح: ثورة تريد عالماً أكثر إنسانية، ثورة تكوّن مجتمع اشخاص حرة ومتكاتفين في المسؤولية حيث كلّ واحد يشعر بانه محبوب وساند كقريبه وأخيه.

ففي هذا المجتمع الراهن المتبدّل تكمّل الكنيسة عمل الخلاص. فلا فرق ولا وحدة بين ملكوت المسيح وتقدم الانسان، بينهما تداخل لا يرى تيمته الاّ الايمان. في عالم يبدّده افتقار عقلي وأخلاقي وروحي، حيث الانسان يشعر بانعزال بين جمهور البشر وكأنه لا يُحدّ إلاّ بانتاجه وسدّ حاجاته المعيشيّة. فان البشارة الانجيلية تردّد صدى الأمل والرجاء: الانسان ليس في عزلة والآن المسيح خلّص البشر كلّهم ووحّد في نفسه الخليقة كلّها. فهو غاية التاريخ البشري: اليه تجتمع كل اشواق التاريخ والتمدّن. فيه محور الجنس البشري وفرح القلوب كلّها وملء تمنياتها جميعها». وهذه الكلمات الأخيرة هي كلمات الدستور الراعوي في الكنيسة وعالم اليوم الذي يُعدّ من اجل ما اعطاه المجمع المسوني الثانيكاني الثاني لإنسان اليوم.

ففي تبديلات الأزمنة تلدُ الكنيسة الإنسان الجديد الذي خُلق على مثال الله في البرّ وقداسة الحق (افس ٤/٢٤) ويعمل المسيحي المؤمن. بحياته وتفكيره ومعاملاته مع البشر، على خلق الأجواء المسيحية الصافية التي يستقيها كل يوم بعودته الى المسيح نور ضميره والحقيقة التي لا تعلوها حقيقة فيتجدد باستمرار ليجدّد كل ما له به صلة في حياته اليومية.

وهذا ما يساعده على ان يميّز في تبديلات عصرنا الراهن الأبعاد الانسانية والمعاني الروحية ومتطلّبات إنسان اليوم بحكمة وفطنة وتفتّح وفيه توق الى إنضاج المجتمع العتيد، متأمّلاً كلام المجمع الذي وجّهه إلى الشبيبة يوم كان ملتئماً: «إنكم ستخلّصون مع المجتمع هذا او ستهلكون معه». وقد زادهم يستحث همتهم قائلاً: ابنوا بفرح وتهلّل عالماً احسن من الذي بنوه اجدادكم». وليس لي كلمة انهي بها هذا المقال أصفى من كلام كهذا فيه روعة المعاني وعمق التفكير.

AEGYPTO-HELLENISTICO-SEMITICA

I

ÉGYPTIENS, GRECS ET SÉMITES A ALEXANDRIE (Ier-IIe s.)

PAR

MARTINIANO RONCAGLIA

Bien des problèmes resteront sans réponse sur la question des influences réciproques des cultures dans les cercles philosophiques d'Alexandrie. La conviction, chez les Hellènes, que la méditation égyptienne avait sa profondeur, proportionnelle à l'antiquité de son passé, devait rencontrer, comme attitude complémentaire, la confiance des Égyptiens dans leur propre tradition, si permanente qu'elle pouvait sembler d'une valeur éternelle (1). La forme nilotique du rationnel, c'est la pérennité. Mais comment concilier ce prix éminent du simple et de l'immuable, avec la diversité des opinions, des conjonctures? Égyptiens et Grecs, mêlés dans Alexandrie et, qui plus est, en contact avec le facteur sémitique, dont Philon d'Alexandrie atteste toute l'importance, ont élaboré une forme nouvelle de vérité, moins claire que le vrai à la façon antique, mais profonde moyennant la convention du symbole.

L'allégorie, une technique de l'interprétation.

Pour accorder les nouveautés du présent aux formes anciennes, point périmées; pour joindre des sortes de culte disparates et non superposables; pour rendre compatibles le savoir et le croire, rien d'aussi opportun qu'une technique de l'interprétation qui montre dans la mythologie la justification des rites, dans les fables l'illustration des concepts, dans l'éclectisme la permanence d'une compréhension unique. La persistance des totems comme emblème des nomes ou des Dieux qu'ils avaient engendré, l'équivalence

(1) P. Masson-Oursel, *La philosophie en Orient* (= Histoire de la Philosophie par Émile Bréhier). Paris 1948, 41-43.

des effigies thériomorphes et anthropomorphes, la croyance à maintes correspondances, révélatrices d'identités secrètes: autant de circonstances favorables à l'adoption de l'allégorie en tant que moyen de compréhension. Tout comme un scarabée, amulette vulgaire, c'est le soleil à l'état de bibelot familier, le dessin stylisé de l'œil d'Horus signifie et procure l'intuition intellectuelle. Méthode suspecte, dans laquelle la logique des concepts fait retraite devant une logique de l'imagination et du vouloir, caractéristiques de l'âme primitive. En s'y prêtant, l'intellectualisme issu de Socrate et d'Aristote, d'Euclide et d'Archimède, s'accommodait à la mentalité nègre, que l'égyptologue aperçoit, comme toile de fond, derrière les raffinements de la civilisation dont il s'émerveille. Avec un tel procédé, Clément d'Alexandrie et les Pères de l'Église, sur les traces de Porphyrius (1), soutiendront que Moïse et Platon apportèrent la même révélation et que toutes les approximations du vrai s'équivalent. Mais ce compromis entre le savoir et l'expérience religieuse, s'il marque un recul pour l'intelligence scientifique, indique et permet un progrès de la masse humaine, devenue plus apte à reconnaître que la diversité, la singularité même de ses croyances recèlent un sens, qui se cache derrière le symbole ou l'allégorie.

L'aspect africain de l'esprit égyptien.

L'aspect africain de l'esprit égyptien nous explique plus d'un trait de sa culture: son réalisme, son fétichisme, sa croyance à l'équivalence des multiples formes d'existence sans qu'intervienne, comme en Asie, la transmigration ou métempsychose. La magie s'y trouve plus concrète, plus brutale qu'en Sumer; le mysticisme numérique y affecte moins de subtilités et l'alchimie, l'astrologie n'y acquièrent pas d'aussi ingénieux développements (2). La civilisation y remonte plus loin peut-être qu'ailleurs (qu'en Chaldée, ou même qu'en Élam), mais la culture, plus technique, s'avère moins spéculative. Une comparaison documentée nous éclairera un jour sur les ressemblances et les différences entre ces deux civilisations mères, de l'Égypte et de Sumer, dont on ne risque pas de s'exagérer le rôle sur la formation du reste du monde.

(1) Porphyrius, *De antro nymph.*, 10.

(2) A. Moret, *Le Nil et la civilisation égyptienne* (Évolution de l'Humanité). Paris 1926, et *Handbuch der Orientalistik*. Erster Band: Ägyptologie. Zweiter Abschnitt: Litteratur. Mit Beiträgen von Hellmut Brunner, Hermann Grapow, Hermann Kees, Siegfried Morenz, Eberhard Otto, Siegfried Schott, Joachim Spiegel. Leiden 1952.

L'investigation « décolonisée » commence à entrevoir qu'une grande partie du continent noir, au lieu d'être aussi fruste et « sauvage » qu'on l'avait supposé, répercute en maintes directions, à travers l'immense isolement par le désert ou la forêt, des influences qui, par la Libye, la Nubie, l'Éthiopie, venaient au Nil. Nous avons là — selon nos catégories scientifiques — une « philosophie implicite », et la religion égyptienne parut aux Hellènes une tradition « philosophique » toute chargée de vérités. Toujours est-il qu'Eudore de Cnide, lui aussi auteur d'une théorie des idées à l'instar de Platon, avait séjourné seize mois près d'Héliopolis, sous le règne de Nectanebos, roi de la trentième dynastie (1).

Le ka et le zet, prototypes platoniciens.

Selon la « philosophie implicite » de l'Égypte ancienne, l'individu ne vit pas seulement par son organisme et par son cœur, sens intime et conscience des perceptions; une partie capitale de lui-même lui reste extérieure: le *ka*, ce qui correspond à sa personnalité dans une sorte de *mana* collectif, principe d'efficience pour hommes et Dieux. Le rite qui unit la momie à son *ka* (art d'immortaliser pour éviter le risque d'une « remort »), rend le corps, *zet*, indestructible et permet au défunt de se manifester tant comme âme (*ba*) que comme esprit (*akh*). Celui-ci est et demeure céleste; celle-là vient animer les statues et la momie, et partage son existence entre le ciel et la terre.

Comment ne pas reconnaître dans ce dualisme du *zet* et du *ka* un prototype grossier des deux mondes, sensible et intelligible, dont Platon construira si vigoureusement l'arbitraire théorie? Pour l'Égypte comme pour la Grèce classique l'essence éternelle est tout autre chose qu'une âme immortelle, et que l'ambition de l'esprit vise à conquérir autant que possible une pérennité de vie, de cette vie qui ne saurait se définir par une collaboration entre l'essence et l'existence. Les mystères grecs ont au moins ceci en commun avec les mystères osiriens de l'Égypte, qu'ils cherchent à immortaliser l'âme, alors que, selon la philosophie comme pour les théologiens, l'éternité appartient à la seule essence (2). C'est sans doute dans ce cadre qu'il faut approcher Clément d'Alexandrie et Origène, cadre composé de la philosophie implicite égyptienne, de la philosophie explicite hellénique et de la doctrine sémitique de la Bible.

---

(1) Voir V.-J. Bmrz, dans *Bulletin de l'Académie Royale de Belgique* (Lettres), XIX (1933), 195-218.

(2) Macon-Ouvrel, *op. cit.*, 38-39.

II

LE SYNCRÉTISME ORIENTAL ET L'ÉGYPTE (IIe et IIIe s.)

PAR

MARTINIANO RONCAGLIA

Dans le monde grec et latin du IIIe siècle, le gnosticisme avait été une mode; il disparut comme tel assez rapidement (1). Les choses se passèrent autrement en Orient. Le gnosticisme prit une tournure et une vie particulières, bien plus brillante. Déjà, dès le IIe siècle, les Antitactes d'Alexandrie sont des véritables dualistes, attribuant les origines du bien et du mal à deux dieux différents (2).

L'immense confusion d'idées qui régnait en Orient amenait un syncrétisme général des plus étranges. Ce n'est que grâce aux découvertes récentes de Naǧ' Ḥammādī qu'on a pu corriger l'opinion assez répandue selon laquelle le Christianisme égyptien depuis ses origines jusqu'à l'évêque Démétrius, c'est-à-dire jusqu'à la fin du IIe siècle, aurait été un Christianisme gnostique (3): nous savons maintenant qu'il était, au contraire, fortement influencé par le Judéo-christianisme (4). Toujours est-il que des petites sectes mystiques d'Égypte, de Syrie, de Phrygie, de Babylonie, profitant d'apparentes ressemblances, prétendaient s'adjoindre au corps de l'Église et parfois étaient accueillies.

(1) Ernest RENAN, *Marc-Aurèle et la fin du Monde Antique* (Histoire des Origines du Christinanisme, 7). Paris 1925, 130-147.

(2) CLEMENS ALEX., *Strom.* III, 4.

(3) Hans-Friedrich WEISS, *Die Bedeutung neuer Textfunde für die Frühgeschichte des Christentums in Ägypten*, dans *Koptologische Studien in der D*[eutschen] *D*[emokratischen] *R*[epublik]. Zusammengestellt und herausgegeben vom Institut für Byzantinistik der Martin-Luther-Universität Halle-Wittenberg (Wissenschaftliche Zeitschrift der Martin-Luther-Universität Halle-Wittenberg, 1965). Halle [1966], 220-235.

(4) MARTINIANO RONCAGLIA, *Histoire de l'Église Copte*, I. Beyrouth 1966. Sur les γνωστικοί d'Égypte voir aussi Jürgen DUMMER, *Die Angaben über die gnostische Literatur bei Epiphanius, Pan. haer.* 26, dans *Koptologische Studien in der DDR*, 191-219.

Toutes les religions de l'Antiquité classique semblaient ressusciter et aspiraient à remplacer l'œuvre de Jésus, présentée comme imparfaite ou comme corrompue par ses disciples, parfois elles allaient au-devant de Jésus pour l'adopter comme un de leurs adeptes. Les cosmogonies de l'Assyrie, de Phénicie, de l'Égypte, les doctrines des mystères d'Adonis, d'Osiris, d'Isis, de la grande déesse de Phrygie, faisaient invasion dans l'Église et continuaient ce qu'on peut appeler la branche orientale, à peine chrétienne, d'une forme particulière de la Gnose. Tantôt Yahweh, le Dieu des Juifs, était identifié avec le démiurge assyro-phénicien *Ialdebaoth*, « le fils du Chaos = יהו צבאות » (1). D'autres fois, le vieil Iao = ΙΑΩ assyrien, qui offre avec Yahweh d'étranges signes de parenté, était mis en vogue et rapproché de son quasi-homonyme d'une façon où le mirage n'est pas facile à discerner de la réalité (2).

Les sectes ophiolâtres (3), si nombreuses dans l'antiquité, se prêtaient surtout à ces folles associations. Sous le nom de Nàassiens [*nahas* en hébreu: serpent] ou d'ophites se groupèrent des païens adorateurs du serpent, à qui il convint à certain jour de s'appeler chrétiens: en réalité la plupart des sectes ophiolâtres restèrent ennemies du Christianisme (4). C'est d'Assyrie que vint, ce semble, le germe de cette Église bizarre (5); mais l'Égypte, la Phrygie, la Phénicie, les mystères orphiques y eurent leur part. Comme Alexandre d'Abonotique, prôneur de son dieu-serpent Glycon, les Ophites avaient des serpents apprivoisés ou agathodémons (culte de Kneph en Égypte) qu'ils tenaient dans des cages; au moment de célébrer les mystères, ils ouvraient la porte au petit dieu et l'appelaient. Le serpent venait, montait sur la table où étaient les pains et s'entortillait à l'entour. L'Eucharistie paraissait alors aux sectaires un sacrifice parfait. Ils rompaient le pain, se le distribuaient, adoraient l'agathodémon et offraient par lui, disaient-ils, un hymne de louange au Père céleste. Ils identifiaient parfois leur petit animal avec le Christ ou avec le serpent qui enseigna aux hommes la connaissance du bien et du mal.

Les théories sur l'Adamas, considéré comme un éon, et sur l'œuf du monde, rappellent les cosmogonies phéniciennes de Philon de Byblos et les symboles communs à tous les mystères de l'Orient.

---

(1) Alfred Mura, *El, Yahvé et Jésus*. Beyrouth 1966, et surtout Adolf Hilgenfeld, *Die Ketzergeschichte des Urchristentums urkundlich dargestellt*. Darmstadt 1966, 243 s.

(2) Irénaeus, *Adv. haer.* I, xxx, 5, 10; Origenes, *Contra Celsum*, VI, 31, 32.

(3) Hilgenfeld, *op. cit.*, 250-283.

(4) Origenes, *Contra Celsum*, III, 13; VI, 24.

(5) Hippolytus, *Philosophoumena*, V, 1 ss.

Leurs rites avaient bien plus d'analogie avec les mystères de la Grande Déesse de Phrygie qu'avec les pures assemblées des fidèles de Jésus. Ce qu'il y a de plus singulier, c'est qu'ils avaient leur littérature chrétienne, leurs évangiles, leurs traditions apocryphes, se rattachant surtout à Jacques. Ils se servaient de l'Évangile des Égyptiens, de l'Évangile de Thomas, etc. Leur christologie était celle de tous les gnostiques. Jésus se composait pour eux de deux personnes, Jésus et Christ, — Jésus, fils de Marie, le plus juste, le plus sage et le plus pur des hommes, qui fut crucifié; — Christ, éon céleste, qui vint s'unir à Jésus, le quitta avant la passion, envoya du ciel une vertu qui fit ressusciter Jésus avec un corps spirituel, dans lequel il vécut un certain temps, donnant à un petit nombre de disciples élu un enseignement supérieur (1).

Sur ces confins perdus du Christianisme, les dogmes les plus divers se mêlaient. La tolérance de certains gnostiques, leur prosélytisme ouvraient si larges les portes de l'Église que beaucoup de choses y passaient. Un signe de cette confusion nous est offert par les hérésiologues chrétiens. Des religions qui n'avaient rien de commun avec le Christianisme, des cultes babyloniens furent classés et numérotés parmi les sectes chrétiennes. Tels furent les Baptistes ou Sabéens, depuis désignées sous le nom de Mendaïtes, et qui furent, peut-être, des elkasaïtes; les Pérates (2), partisans d'une cosmogonie moitié phénicienne, moitié assyrienne, vrai galimatias plus digne de Byblos, de Mabboug ou de Babylone que de l'Église du Christ. Les Séthiens (3), secte assyrienne, qui fleurit aussi en Égypte, comme en témoignent les manuscrits coptes de Naǧ' Ḥammādī. Elle se rattachait par des calembours au patriarche biblique Seth (4), père supposé d'une vaste littérature et par moment identifié avec Jésus-Christ lui-même. Les Séthiens combinaient arbitrairement l'Orphisme, le néo-phénicisme, les anciennes cosmogonies sémitiques, et retrouvaient le

(1) W. Bousset, *Kyrios Christos*. Geschichte des Christus-Glaubens von den Anfängen des Christentums bis Irenäus. Mit einem Geleitwort von Rudolf Bultmann. Göttingen 1965; Rudolf Bultmann, *Das Urchristentum im Rahmen der antiken Religionen*. Zürich 1949.

(2) Clemens Alex., *Strom.* VII, 17. Ce nom paraît venir de ce que la secte naquit au-delà de l'Euphrate. Voir *Gen.* XIV, 15 (en grec), d'après ce qu'en dit Hippolytus, *Philos.*, V, 16.

(3) Hippolytus, *Philosophumena*, V, 19 s.; Epiphanius, *Panarion haer.*, XXXVI, 7; XXIX, 5; Hilgenfeld, *op. cit.*, 263-267. Rudolf Baxmann, *Die Philosophumena und die Peraten, eine Untersuchung aus der alten Häresiologie*, dans *Zeitschrift für die historische Theologie* II (1860), 218-257.

(4) Willem Cornelis van Unnik, *Evangelien aus dem Nilsand*. Frankfurt am Main 1960, 31-32; Hilgenfeld, *op. cit.*, 267-270.

tout dans la Bible. Ils disaient que la généalogie de la Bible ou mieux de la Genèse renfermait des vues sublimes, que les esprits vulgaires avaient ramenées à de simples récits de famille (1).

Comme quatrième représentant de la gnose ophite, Hyppolite de Rome (2) nous présente un certain Justin. Ce Justin, que d'autres avaient confondu avec son homonyme martyre, vers le même temps, dans un livre intitulé *Baruch*, transformait le Judaïsme en une mythologie et ne laissait presque aucun rôle à Jésus. Des imaginations exubérantes, nourries d'interminables cosmogonies et mises brusquement au régime sévère de la littérature hébraïque et évangélique, ne pouvaient s'accommoder de tant de simplicité. Elles gonflaient les récits historiques ou appartenant à des différents genres littéraires de la Bible, pour les rapprocher du génie des fables grecques et orientales, auquel elles étaient habituées.

C'était, on le voit, tout le monde mythologique de Grèce et d'Orient qui s'introduisait subrepticement dans la religion de Jésus (3). Les hommes intelligents du monde gréco-romain et gréco-oriental sentaient bien qu'un même esprit animait toutes les religions de l'humanité. On commençait à connaître le Bouddhisme et, quoiqu'on fût loin encore du temps où la vie de Bouddha serait devenue une vie de saint chrétien (4), comme celle de Barlaam et Joasaph, on ne parlait de lui qu'avec respect (5). Le Manichéisme, qui représente au III[e] siècle une continuation du gnosticisme, a vu sa tentative d'introduire sa mythologie panthéiste dans le cadre d'une religion sémitique condamnée à l'avance. Philon d'Alexandrie, les Épîtres aux Colossiens et aux Éphésiens, les écrits johanniques avaient été sous ces rapports

(1) Epiphanius, *Pan. haer.* XXXIX, 9.

(2) Hippolytus, *Philos.*, V, 23-28; Hilgenfeld, *op. cit.*, 270-277.

(3) Rudolf Bultmann, *op. cit.*; Johannes Leipoldt, *Frühes Christentum im Orient (bis 351)*, dans *Handbuch der Orientalistik*. Erste Abteilung, Achter Band, Zweiter Abschnitt. Leiden 1961, 3-42; Siegfried Morenz, *Altägyptischer und hellenistisch-paulinischer Jenseitsglaube bei Schenute*, dans *Mitteilungen des Instituts für Orientforschung* I (Berlin 1953), 250-255.

(4) H. Zotenberg, *Notice sur le texte et les versions orientales du livre de Barlaam et Josaphat*, dans *Notices et Extraits de la Bibliothèque Nationale*, 28. Paris 1887; Paul Peeters, *La première traduction latine de Barlaam et Joasaph et son original grec*, dans *Analecta Bollandiana* 49 (1931), 276-312. Les derniers résultats d'une enquête littéraire critique serrée nous sont présentés par Franz Dölger, *Der griechische Barlaam-Roman, ein Werk des Hl. Johannes von Damaskos*. Scheiern 1953.

(5) Clemens Alex., *De abstinentia*, IV, 17. On a d'ailleurs remarqué que les *Actes de saint Thomas* ressemblent singulièrement à un soutra bouddhique: simple coïncidence d'un genre littéraire ou dépendance?

aussi loin que possible. Les Gnostiques faussaient le droit sens de tous les mots en se prétendant chrétiens. L'essence de l'œuvre et de la prédication de Jésus était éthique, l'amélioration du cœur: l'essence de l'œuvre et de la prédication gnostique était la spéculation. Or ces spéculations creuses renfermaient tout au monde, excepté du bon sens et de la bonne morale. Même en tenant pour des calomnies ce que l'on racontait de leurs promiscuités sexuelles et de leurs habitudes licencieuses (1), on ne peut douter que les sectes dont nous parlons n'aient eu en commun une fâcheuse tendance à l'indifférence morale, un quiétisme dangereux, un manque de générosité qui leur faisait proclamer l'inutilité du martyre. Leur docétisme obstiné (2), leur système sur l'attribution de l'Ancien et du Nouveau Testament à deux Dieux différents (3), leur opposition au mariage (4), leur négation de la résurrection de la chair et du jugement (5), fermaient également devant eux les portes d'une Église où la règle des chefs fut toujours une sorte de modération et d'opposition aux excès. La discipline ecclésiastique, représentée par l'épiscopat, fut le rocher contre lequel ces tentatives désordonnées vinrent toutes se briser.

On craindrait, en parlant plus longuement de pareilles sectes, d'avoir l'air de les prendre plus au sérieux qu'elles ne se prirent elles-mêmes. Qu'étaient-ce donc que les Phibionites (6), les Barbélonites ou Barbélo-gnostiques (7) — dont saint Irénée de Lyon dit: « Ex his qui praedicti sunt Simoniani multitudo Gnostorum Barbelo (8) exsurrexit et velut a terra fungi manifestati sunt » (9) —, les Marcosiens (10), et toutes les autres dénominations qui nous sont connues depuis la découverte des manuscrits coptes

(1) Epiphanius, *Pan. haer.*, XXVI, 3, 4, 11. Voir toutefois l'enseignement utopique « platonique » d'Isidore, l'enfant prodige de Carpocrate, Renan, *op. cit.*, 123-124.

(2) Clemens Alex., *Strom.* III, 13 ss.; 17; Origenes, *Contra Celsum*, II, 13.

(3) Irenaeus, *Adv. haer.* II, xxxv, 2 ss.

(4) Clemens Alex., *Strom.* IV, 18: « οἱ τοῦ νόμου καταπαύοντες καὶ τοῦ γάμου ».

(5) Epiphanius, *Pan. haer.*, XXVI, 15.

(6) Richard Reitzenstein, *Poimandres. Studien zur griechisch-ägyptischen und frühchristlichen Literatur.* Darmstadt 1966, 17, note 6, et 227.

(7) Hilgenfeld, *op. cit.*, 232-241.

(8) Le nom signifie: *Dans le quatre il y a Dieu*, ou bien *Dans le entrées* [*dont*] *se cache un Dieu:* בארבע אדה. La langue hébraïque est toujours employée comme instrument de grimoires magiques.

(9) Irenaeus, *Adv. haer.* I, 29.

(10) Renan, *op. cit.*, 127-129.

de Naǧ' Ḥammādī (1)? Les Pères de l'Église sont unanimes pour verser sur toutes ces hérésies un ridicule qu'elles méritaient sans doute et une haine qu'elles ne méritaient peut-être pas. Il y avait en tout cela plus de charlatanisme que de méchanceté (2). Avec leurs mots et grimoires hébreux souvent pris à contresens (3), leurs formules magiques, leurs amulettes et leurs abraxas (4), les Gnostiques de bas étage ne méritent que le mépris. Mais ce mépris ne doit pas rejaillir sur les grands hommes qui cherchèrent dans ce narcotique puissant le repos ou, si l'on veut, l'étourdissement de leur pensée. Valentin eut du génie. Carpocrate et son fils Épiphane furent de brillants écrivains, gâtés par l'utopie et le paradoxe, mais parfois étonnants de profondeurs. Le gnosticisme eut un rôle considérable qui reste encore à mettre en évidence dans l'œuvre de la propagande chrétienne. Souvent il fut la transition par laquelle on passait du Paganisme au Christianisme. Les prosélytes ainsi gagnés devenaient presque toujours orthodoxes; jamais ils ne retournaient au Paganisme.

C'est surtout l'Égypte qui garda de ces rites étranges une empreinte ineffaçable. L'Égypte n'avait connu le Judéo-christianisme que dans les milieux alexandrins et ceux qui en dépendaient directement pendant le premier siècle et aussi le deuxième. Mais déjà au cours du deuxième on note un Christianisme « égyptien » à côté du judéo-chrétien et de l'helléniste (5). Un fait remarquable, c'est la différence entre la littérature copte et les autres littératures chrétiennes de l'Orient. Tandis que la plupart des ouvrages judéo-chrétiens se retrouvent en syriaque et en grec, voire en arabe, en éthiopien, en arménien, le copte ne montre qu'un arrière-fonds gnostique, sans rien au-delà. Alexandrie ne connut sa vraie splendeur que lorsque Pantène, un judéo-chrétien (peut-être de teinte stoïcienne), s'avisa de reformer le Didascalée et d'ouvrir les portes à la culture hellénistique. Lui succéda Clément d'Alexandrie qui, tout en gardant ses attaches au Judéo-christianisme de son maître Pantène, il prit courageusement et avec enthousiasme le chemin d'un gnosticisme tempéré, à peu près comme — *mutatis mutan-*

(1) Jean Doresse, *Les Livres Secrets des Gnostiques d'Égypte.* Introduction aux écrits gnostiques coptes découverts à Khénoboskion. Paris 1958.

(2) De nos jours c'est le cas, *mutatis mutandis*, de Georges Michel Geahchan, « Archevêque pour le Liban de *l'Église Catholique Primitive d'Antioche, Orthodoxe et de Tradition Syro-Byzantine* ».

(3) Origenes, *Contra Celsum*, I, 22; VI, 31, 32.

(4) Renan, *op. cit.*, 142-144.

(5) Pour l'Égypte on peut citer le cas d'Ambroise, le riche ami et mécène d'Origène. Eusebius, *Hist. Eccl.* VI, 18.

dis — des philosophes chrétiens modernes on prit le chemin de l'existentialisme. Clément d'Alexandrie est un gnostique chrétien; il cite avec respect Héracléon comme un docteur faisant autorité à beaucoup d'égards; il emploie en bonne part le mot de *gnostique* et le fait synonyme de chrétien (1); il est loin en tout cas de la polémique haineuse d'Irénée de Lyon, de Tertullien et d'Hippolyte de Rome. On peut dire que Clément d'Alexandrie et Origène introduisirent dans la science chrétienne ce que la tentative trop hardie d'Héracléon et de Basilide avait d'acceptable. Mêlée intimément à tout le mouvement intellectuel d'Alexandrie, la Gnose eut une influence décisive sur le tour que prit au IIIe siècle la philosophie spéculative dans cette ville, devenue alors la ville lumière ou le centre de l'esprit humain. La permanence des thèmes gnostiques et néo-platoniciens ainsi que le conflit métaphysique demeure aujourd'hui le même qu'au IIIe siècle à Alexandrie (2). Pantène, Clément, Origène: trois étapes de l'évolution de la doctrine chrétienne qui passa de l'état de la théognose à celle de la théologie, pas encore systématique, il est vrai, mais les principes méthodologiques sont déjà plus ou moins clairement fixés. Ensuite nous aurons des épigones plus ou moins célèbres, qui créeront celle qu'on appellera l'école théologique d'Alexandrie.

L'influence de la Gnose sur l'école païenne d'Alexandrie ne fut pas moindre. Ammonius Saccas et Plotin, par exemple, n'échappèrent pas à son emprise. Les esprits les plus ouverts, tels que Numénius d'Apamée, entraient par cette voie dans la connaissance des doctrines juives et chrétiennes, jusque-là si rares au sein du monde païen (3). La philosophie alexandrine du IIIe, du IVe, voire du Ve siècle est pleine de ce qu'on peut appeler l'esprit gnostique, et elle lègue à la philosophie arabe un germe de mysticisme, que celle-ci développera encore. Le Judaïsme, de son côté, subira les mêmes influences qui se prolongeront jusqu'aux Falachas, juifs d'Abyssinie provenant — peut-être — de l'Égypte après le premier exil.

Le monde de la culture, pour un ensemble de circonstances qui nous échappent et qui sont à la base d'un tournant de l'histoire des idées, à un moment donné demandait à l'Orient, et surtout à la Judée, des noms divins moins usés que ceux de la mythologie

(1) Clemens Alex., *Strom.* IV, 4, 26 et les livres V et VI entiers.

(2) Claude Tresmontant, *La Métaphysique du Christianisme et la naissance de la Philosophie chrétienne*. Paris 1961, 709-746.

(3) Eusèbe, *Praeparatio evangelica*, IX, 7; XI, 10, 18, 22; Proclus, *In Tim.* II, 93.

courante. Ces noms orientaux avaient plus d'emphase que les noms grecs, et on donnait une singulière raison de leur supériorité théurgique. Les noms d'Abraham, d'Isaac, de Jacob, de Salomon passaient en Égypte pour des talismans de première force (1). Des amulettes répondant à ce syncrétisme effréné couvraient tout le monde et de tels talismans portaient parfois aussi la représentation du Christ crucifié (2).

De ce que nous venons de dire, il est facile de s'apercevoir que tout ce que nous savons du vrai rôle des hérésies gnostiques et de celui des religions orientales dans la recherche et la fixation du chemin de l'orthodoxie chrétienne, reste encore à écrire. Ce qui a été dit avant doit être revu et corrigé sur des bases plus objectives.

L'Orient païen n'inspirait pas toujours aux Chrétiens la même antipathie que la Grèce (3). Le polythéisme égyptien, par exemple, était traité par eux avec moins de sévérité que le polythéisme hellénique. L'auteur ou l'interpolateur des *Carmina sybillina* (V, 483 ss.) annonce à Isis et à Sérapis la fin de leur règne avec plus de tristesse que d'insulte. Son imagination est frappée de la conversion d'un prêtre égyptien, qui, à son tour, convertira ses compatriotes. Il parle en termes énigmatiques d'un grand temple élevé au vrai Dieu, qui fera de l'Égypte une sorte de terre sainte et ne sera détruit qu'à la fin des temps.

L'Orient, de son côté, toujours enclin au syncrétisme, et d'avance sympathique à tout ce qui porte le caractère de la spéculation désintéressée, rendait au Christianisme cette large tolérance. De la part des Chrétiens nous avons Clément d'Alexandrie, de la part des Païens nous avons, par exemple, un penseur tel que Numénius d'Apamée. Celui-ci, sans être précisément chrétien ni juif, il admire Moïse et Philon d'Alexandrie. Il égale Philon à Platon; il appelle ce dernier un *Moïse attique* (4), il connait jusqu'aux écrits sur Jamnès et Mambré (5). A l'étude de Platon et de Pythagore, le philosophe doit, selon Numénius d'Apamée,

(1) ORIGÈNES, *Contra Celsum* I, 22 ss.; IV, 33, 34; VI, 39.

(2) Philippe DERCHAIN, *Die älteste Darstellung des Gekreuzigten auf einer magischen Gemme des 3. (?) Jahrhunderts*, dans Klaus WESSEL, *Christentum am Nil*. Internationale Arbeitstagung zur Austellung «Koptische Kunst». Essen, Villa Hügel 23-25. Juli 1963. Recklinghausen 1964, 109-113.

(3) RENAN, *op. cit.*, 433-435.

(4) PORPHYRIUS, *De antro nymph.*, 10: Μωσῆς ἀττικίζων; CLEMENS ALEX., *Strom.* I, 22.

(5) EUSEBIUS, *Praeparatio evangelica*, IX, 8.

unir la connaissance des institutions des brahmanes, des juifs, des mages iraniens, des Égyptiens (1). Le résultat de l'enquête, on peut en être sûr d'avance, sera que tous ces peuples sont d'accord avec Platon, et par Platon (ajouterait Clément d'Alexandrie) avec Moïse et le Logos. Comme Philon d'Alexandrie allégorise l'Ancien Testament, Numénius d'Apamée explique symboliquement certains faits de la vie de Jésus-Christ (2). Il admet que la philosophie grecque est originaire de l'Orient, et doit la vraie notion de Dieu aux Égyptiens et aux Hébreux (3); il proclame cette philosophie insuffisante, même en ses maîtres les plus vénérés. Justin, l'auteur de l'épître à Diognète et Clément d'Alexandrie n'en disaient guère davantage. Numénius d'Apamée n'appartint pas cependant à l'Église; la sympathie et l'admiration pour une doctrine n'entrainent pas chez un éclectique l'adhésion formelle à cette doctrine. Numénius est un des précurseurs du néoplatonisme; c'est par lui que l'influence de Philon d'Alexandrie et une certaine connaissance du Christianisme pénètrent dans l'école philosophique d'Alexandrie. Pantène, Clément d'Alexandrie, Numénius d'Apamée, Origène et Plotin: quel siècle va s'ouvrir pour la ville qui nourrit tous ces grands penseurs, et devient de plus en plus la capitale intellectuelle de l'Orient et de l'Occident!

Et pourtant, du point de vue chrétien quel jugement faut-il porter, en définitive, sur cette « intelligentsia » alexandrine? Si on veut parler sans nuances il faudra admettre que Clément d'Alexandrie, Origène ne sont que des demi-chrétiens. Ce sont des gnostiques, des hellénistes, des spiritualistes, ayant honte de l'Apocalypse au même titre que de l'apocalyptique et du règne terrestre du Christ, plaçant pratiquement l'essence du Christianisme dans la spéculation métaphysique, non dans l'application des mérites de Jésus ou dans la révélation biblique (4) et le kérygme de Pierre (5). Origène avoue que, si la Loi de Moïse devait être

(1) Eusèbius, *Praep. ev.*, IX, 7, 8.

(2) Origènes, *Contra Celsum*, I, 15; IV, 51; V, 57.

(3) Röth et Gladisch, en Allemagne, ont repris la thèse de l'origine orientale de la philosophie grecque. Röth, en particulier, a voulu démontrer que la philosophie grecque est venue d'Égypte. Charles Werner, *La philosophie grecque*. Paris 1946, 9. Voir aussi la position moyenne de P. Masson-Oursel, *La philosophie en Orient* (= Histoire de la Philosophie par Émile Bréhier). Paris 1948, 35-43.

(4) Voir la cinquième et septième parties de Oscar Cullmann, *Vorträge und Aufsätze 1925-1962*. Herausgegeben von Karlfried Fröhlich. Zürich 1966.

(5) François Bovon, *De vocatione Gentium*. Histoire de l'interprétation d'Actes 10, 1-11, 18 dans les six premiers siècles (Beiträge zur Geschichte der biblischen Exegese 8). Tübingen 1967, Première partie: *De initio fidei*.

entendue au sens propre, elle serait inférieure aux lois des Romains, des Athéniens, des Spartiates: « J'ai honte à admettre, dit-il (1), que Dieu a donnée de telles lois! » Sans doute, saint Paul eût presque dénié le titre de chrétien à un Clément d'Alexandrie, sauvant le monde par une *gnosis* où ne joue presque aucun rôle le sang rédempteur de Jésus-Christ.

(1) Origenes, *In Leviticum*, hom. VII, 5: « Erubesco confiteri quia tales leges dederit Deus ». Voir aussi de lui, *De Principiis*, 17: *In Matth.*, tom. XIV, 21; *In Epist. ad Rom.* II, 19 ss.

III

LA « TRADITION » DES RABBINS ET DES PRESBYTRES JUSQU'A PANTÈNE MÉTHODES ET TECHNIQUES

PAR

MARTINIANO RONCAGLIA

La découverte des rouleaux de la Mer Morte a soulevé une quantité considérable de problèmes tout en apportant une meilleure compréhension de la vie de la Palestine pendant la période du Judaïsme tardif et un meilleure évaluation des premières origines chrétiennes. Il n'est pas possible d'avoir une idée exacte du Christianisme naissant sans avoir saisi d'abord les réalités, les pratiques et la mentalité du milieu juif auquel il doit ce qu'il est encore de nos jours, malgré l'évolution et les contaminations culturelles de tout genre. Ce principe historique n'est pas nouveau, mais il a acquis dernièrement une nouvelle importance qui lui viennent des nouvelles nuances. Alexandrie et la côte de la Cyrénaïque, dans leurs origines chrétiennes sont intimement liées aux juifs de la Diaspora égyptienne qui, à leur tour, avaient partie liée avec ceux de la Palestine. Cette constatation requiert une connaissance préable du Judaïsme palestinien. La transmission de l'évangile dans le giron du Christianisme de la première heure a suivi un processus technique similaire à celui qui était en usage chez les Rabbis pour la transmission de la Loi orale dans les écoles rabbiniques. Nous distinguons entre transmission de la Loi orale et transmission orale de la Loi. Nous ne pourrons donc pas saisir la tradition ou transmission orale de l'évangile sans connaître les méthodes de tradition ou transmission de l'évangile oral calquées (par la force des circonstances) sur les mêmes méthodes employées pour la transmission de la Torah orale et écrite dans la Palestine juive pendant le premier siècle de notre ère (1). Le fait

(1) Birger Gerhardsson, *Memory and Manuscript, Oral Tradition and Written Transmission in Rabbinic Judaism and Early Christianity* (Acta Seminarii Neotestamentici Upsaliensis, XXII). Lund 1961.

que la tradition judaïque était plus ancienne et que la tradition chrétienne venait de naître ne joue aucun rôle, car ce détail chronologique est un pseudo-problème: en effet, nous savons que le Christianisme des origines palestiniennes ne se considéra que comme faisant partie ou bien comme une prolongation de la Synagogue et ensuite comme remplaçant la Synagogue « infidèle » avant de prendre une position d'abord sectaire et ensuite indépendante, voire hostile, face à la Synagogue sa mère. Cela fait que les usages, la mentalité, les méthodes et les techniques de tradition et de transmission (tradition orale et transmission écrite) forment un héritage judaïque typiquement sémitique qui influencera les méthodes et les techniques de la παράδοσις (= tradition) des Presbytres (judéo-chrétiens) d'Alexandrie et d'ailleurs (1). Une partie de ces traditions orales alexandrines nous sont connues entre autres grâce à la liberté que Clément d'Alexandrie s'est pris vis-à-vis d'une méthode de tradition orale qui révélait déjà au IIe siècle son inefficience: une bonne partie de ces traditions orales il les avait reçues directement de la bouche de son vénéré maître, Pantène.

Pour rebrousser chemin, commençons par faire remarquer que la plupart des matériaux d'alluvion de l'évangile vient de la Torah et des traditions juives dans la méthode traditionnelle la plus pure de la *halakha* juive. Avec l'évangile c'était tout un matériel alluvial juif qui venait transmis oralement d'emblée avec les méthodes et les techniques de la tradition, spécialement de l'école des *tannaïm* ou *Ionim*.

La distinction entre tradition orale et transmission écrite de la Torah n'est pas simple. Pour la Torah écrite fonctionne en quelque sorte une voie orale en ce qu'elle est exactement apprise par cœur. Nous avons là un texte définitivement (ne varietur) mémorisé en vue de son emploi dans maints contextes d'étude, malgré que par son caractère officiel elle doit être lue en publique sur un livre. Le revers de ce paradoxe est que la Loi orale est souvent écrite pour l'usage privé, comme font les étudiants qui prennent des notes pour en faciliter la répétition ou pour s'assurer de sa rétention exacte pendant l'étude. Encore faut-il faire attention à ne pas confondre la Loi juive écrite ou orale avec la loi grecque orale ou écrite. La « loi orale » des Grecs était une loi non écrite dans le sens qu'elle était une « loi naturelle », même si de nature

(1) J. Rahner, *Der Ursprung des katholischen Traditionsprinzips*. Würzburg 1931. Elle sera transposée par Irénée de Lyon, mais toujours dans un contexte judéo-chrétien « romanisé », alors que Tertullien l'insérera dans le principe de la « praescriptio » du droit romain.

universelle ou dépendante de la tradition coutumière. Pour les Rabbis la différence entre les deux se trouve dans la méthode de la transmission qui se trouve explicitée spécialement dans la terminologie distincte par rapport à chacun de ses objets: l'Écriture est toujours *lue* (*karoh*), tandis que la Mischnah est toujours *étudiée* (*šanoh*). C'est aussi grâce à cette méthode que la fixation d'un *textus receptus* de l'Écriture était déjà un fait accompli avant la période tannaïque. Un rôle très important dans la préservation du texte a été joué par l'enseignement élémentaire et par le service liturgique. Toutefois le soin apporté par la transmission verbale, statique et immuable, *ne varietur*, n'a pas empêché la tendance générale vers des adaptations diverses, dynamiques du contenu de la lettre du texte. Les Rabbis, ainsi que Jésus, les Apôtres, les Pères Apostoliques et les Alexandrins comme Pantène, Clément d'Alexandrie, Origène, etc. ont employé le texte de l'Écriture dans toutes ses virtualités spirituelles, analogiques, anagogiques, allégoriques, et autres. Le respect avec lequel chaque lettre du texte a été scruté pour des buts didactiques et pédagogiques trouvait sa raison d'être aussi dans la conviction toujours croissante que chaque mot contenait un sens caché, غريب diraient les cheikhs musulmans, un μυστήριον: cela contribua d'une part énormément à éviter des distorsions verbales conscientes même si on n'a pas toujours su éviter des distorsions exégétiques, et d'autre part on arriva plus tard à une sorte de culte magique du mot et de la lettre en elle-même, et on aura ainsi la Kabbale, domaine du *Pardès* (même mot, étymologiquement, que Paradis), terme qui a pris, dans le langage des Docteurs d'Israël, le sens particulier de « domaine réservé de la connaissance ésotérique ». La tentative la plus récente de prouver le rapport entre le *Midraš ha-Ne'elam* et ses prétendues sources dans les vieux midraschim alexandrins de la part de Samuel Belkin a échoué (1), mais cela n'empêche pas que ses sources soit très anciennes. Entre parenthèses soit dit que la Kabbale, aussi bien adoptée, combattue ou prudemment mise entre guillemets, ne laisse pas d'être un facteur de grande importance non seulement dans la spiritualité du Judaïsme, mais encore dans son histoire événementielle et sociale. D'autre part, et ceci non plus n'est pas sans importance, il en a été tenté, pendant près de quatre siècles, des interprétations chrétiennes (2).

---

(1) Rabbi Zvi Werblowsky, *Philo and the Zohar*, dans *Journal of Jewish Studies* 10 (1959), 23-44, 113-135.

(2) Gershom G. Scholem, *Reši't ha-Kabbala*. Jérusalem 1948, ensuite: *Ursprung und Anfänge der Kabbala*. Berlin 1962. Du même auteur voir aussi: *Les Grands Courants de la Mystique juive*. Paris 1968.

Comment transmettait-on la Torah orale? Il y eut des spécialistes pour ce genre de transmission orale qui dépasse de beaucoup le *ḥāfiẓ* du Coran. La Torah orale était formulée par une méthode fixe, comme si elle était écrite (ce qu'elle était en effet). Sur le matériel de ce texte de base, se développa une tradition interprétative, qui eut ses spécialistes aussi ou ses experts en interprétation du texte oral comme s'il s'agissait du texte écrit lui-même. Cette distinction nous prait subtile, avec nos méthodes livresques du XX^{e} siècle, mais elle exista, et elle fut la tâche propre des *Tannim* qui étaient une espèce de bibliothèque religieuse ambulante. Ils mémorisaient le texte et pourvoyaient à la reproduction « mécanique » littérale du matériel du texte oral selon les exigences des programmes d'étude des écoles rabbiniques. De ce genre d'école il y en avait une gamme très variée qui allait de l'enseignement le plus rudimentaire jusqu'à l'enseignement supérieur et érudit. Toutefois elles avaient toutes une chose en commun: d'abord les étudiants devaient apprendre l'Écriture par écrit (un proverbe dit que celui qui transcrit lit trois fois!), et seulement après qu'elle s'était bien fixée graphiquement dans la mémoire on commençait le travail qui devait permettre de la comprendre. Dans tout cela, rien de particulier pour les écoles rabbiniques, car c'était là la méthode générale — quelques variations près — de l'enseignement dans l'Antiquité. La mémorisation a toujours été (sauf dans les temps modernes) la méthode primitive et naturelle pour apprendre.

Rabbinisme et Hellénisme avaient beaucoup de points en commun ou de contact dans leurs méthodes et dans leurs techniques didactiques sans que cette constatation nous pousse à affirmer des influences directes et explicites (1). Toutefois c'est de ces contacts plus ou moins directs qu'il faut rechercher le dynamisme dialectique qui, à un moment donné, commença à constituer la force des Rabbins dans leur lutte contre les infiltrations hellénistiques elles-mêmes, grâce surtout aux méthodes de la rhétorique. D'autre part, la différence qu'il y avait entre un

(1) Les rapports entre l'hellénisme et la diffusion de la langue grecque en Palestine ont été mis en lumière par Samuel LIEBERMAN, *Yevanit ve-yavanut be-Ereṣ Yisrael*. Jérusalem 1962. L'auteur prouve, entre autres choses, que beaucoup de mots grecs du Talmūd et du Midrasch sont en effet des citations, malgré que ce grec rabbinique soit tiré de petits textes grecs peu connus, ce qui indique sans doute la familiarité qu'avaient les Rabbins avec la littérature populaire grecque. Les rapports de langue, d'institutions, etc. ne doivent pas nous entraîner à des conclusions hâtives, car « it is possible for similar institutions to grow up in one and the same cultural area, relatively independent of one another ». GERHARDSSON, *op. cit.*, 89.

sofer (= scribe, copiste) et un Rabbin, était analogue à celle qu'il y avait entre un modeste *grammatikos* et un *sophiste* qualifié (1). La récitation et la déclamation d'œuvres classiques formaient le plaisir et affinaient le goût littéraire des écoles tant rabbiniques que hellénistiques. Les méthodes des écoles rabbiniques traditionnelles ainsi que celles des écoles arabes (musulmanes ou chrétiennes) de l'Orient sémitique n'ont guère changé: on y apprend tout par cœur et par déclamation collective. Ces méthodes peuvent être discutées voire rejetées par la pédagogie occidentale moderne, mais elles font encore la preuve de leur solidité en rapport au genre de culture et de civilisation qu'elles doivent transmettre. Cela se passait parmi les Juifs de Palestine (2), et les méthodes des écoles hellénistiques n'étant pas très différentes, nous pouvons aisément comprendre comment les Presbytres judéo-chrétiens d'Alexandrie — dépositaires des « traditions apostoliques » reçues de Palestine — ne se sont point senti désaxés lorsqu'ils commencèrent la catéchèse chrétienne qui devait être originairement calquée sur le type préexistant des écoles rabbiniques et synagogales. Une preuve en est aussi que lorsqu'ils décidèrent de se *moderniser* ou mieux de s'adapter au milieu alexandrin — qui avait certainement des exigences culturelles autres que celles de la Palestine désormais ruinée par les légionnaires romains — ils confièrent à Pantène d'y introduire de « nombreuses réformes », ce qui impliquait l'adoption de méthodes et de techniques didactiques hellénistiques dans l'exposition de la doctrine chrétienne sans pour cela abandonner les méthodes de transmission des « traditions apostoliques » propres au génie religieux sémitique et juif (3). Encore de nos jours, notre théologie malgré son « akute Hellenisierung », s'accommode fort bien des « traditions » apostoliques, de l'apocalyptique judéo-chrétienne, etc. Les *tannaïm* ont été comparés aux rhapsodes homériques et l'enseignement sommaire rabbinique aux *kephálaia* et aux *epitomai* des maîtres hellénistiques. Les méthodes mnémotechniques étaient les mêmes, et il ne sera peut-être pas dénué tout intérêt de rappeler que le mot hébreu pour *signe* mnémonique dérive du grec σημεῖον = סמן (4). La pénétration hellénistique

(1) U. Schindel, *Schulen*, dans *Lexikon der Alten Welt*. Zürich-Stuttgart 1965, col. 2735-2740.

(2) Gerhardsson, *op. cit.*, 27, 61, 64.

(3) Une analyse très subtile de la prise de position et de l'originalité de Pantène ainsi que dans son rôle dans les origines du Didascalée d'Alexandrie a été publiée par Francesco Pericoli-Ridolfini, *Le origini della Scuola di Alessandria*, dans *Rivista degli Studi Orientali* 37 (1962), 211-230.

(4) Gerhardsson, *op. cit.*, 95, 142, 150. Les affinités et les ressemblances ne sont pas toujours des arguments décisifs pour démontrer une dépendance

dans la pensée, les modes de vie, l'onomastique, etc. était si profonde qu'il y eut aussi des défections de Juifs, comme par ex. dans la famille de Philon d'Alexandrie. Les *gymnases* étaient très fréquentés par les Juifs épris de snobisme pour la culture ou mieux pour la mentalité grecque. Non seulement dans un centre comme Alexandrie, mais aussi parmi les colons militaires et les mercenaires juifs établis dans le Fayyūm, les noms grecs des personnes avaient remplacé les noms bibliques (1). L'hellénisation, particulièrement précoce et profonde de l'élément juif d'Égypte dès l'époque ptolémaïque, a rendu presque normal l'abandon de l'araméen en faveur de l'adoption de la langue grecque, bien que l'araméen n'ait jamais disparu complètement même pendant l'hellénisation la plus profonde de la Diaspora juive en Égypte (2) pourtant soumise à mille et une sollicitations.

L'interprétation du texte, le commentaire de l'interprétation, les gloses au commentaire, les épitomés, etc. etc. (phénomène qui est encore bien connu dans la culture religieuse islamique), à un moment donné du processus n'apportent plus rien de nouveau, mais ils gardent leur importance primordiale dans leur contexte culturel en tant que collecteurs de matériaux d'alluvion des différentes générations autour du texte de base et de la tradition primitive. Cela n'implique pas nécessairement que le texte de base soit réélaboré ou bien qu'il doit l'être; on ne peut donc souscrire à l'assertion de ceux qui voudraient que « the text of the Mishnah is never advanced by the earlier Amoraic Rabbis » (3). Il est d'exemples où un Rabbi enseigne à ses élèves une opinion différente de celle qui se trouve dans la Mischnah. Plus, avec Rabbi Akiba l'enseignement rabbinique marque un tournant: l'enseignement n'est plus longtemps limité à transmettre « mécaniquement » ce qu'on a entendu dire (comme dans une sorte d'*isnād*), mais il s'étend maintenant à ce que l'on peut *inférer*.

---

quelconque, mais ce que nous connaissons maintenant de la Palestine juive, qui nous apparaît aujourd'hui comme faisant partie intégrale de la culture hellénistique, nous offre la possibilité de réviser nos opinions, LIEBERMAN, *op. cit.* Il n'est donc plus permis de considérer impunément la Palestine juive et sa culture tannaïque et amoraïque comme une sorte de *ḥarām* imperméable à la culture grecque.

(1) VICTOR A. TCHERIKOVER, *Corpus Papyrorum Judaicarum*. Cambridge, Mass., 1957, I, 27-29; Edda BRESCIANI, *Un papiro aramaico di età tolemaica*, dans *Rendiconti della sedute dell'Accademia Nazionale dei Lincei*. Classe Scienze Morali, Storiche e Filologiche. Roma 1962, Volume XII, 258-264.

(2) Au dossier très mince de cette époque il faut maintenant ajouter le papyrus publié par Edda BRESCIANI, *op. cit.*

(3) GERHARDSSON, *op. cit.*, 97.

C'est pratiquement admettre le principe de la dialectique grecque de la *déduction*, l'inférence étant une opération intellectuelle par laquelle on passe d'une vérité à une autre vérité, jugée telle en raison de son lien avec la première. Ce qui nous paraît tout à fait lapalissien au XX^e siècle, cela ne l'était pas pour les « traditionnaires » juifs, très liés au traditionalisme religieux atavique. Malgré ce « tournant » inauguré par Rabbi Akiba, sa propre Mischnah fut à son tour retransmise et apprise selon les mêmes principes qui l'avaient précédée (1).

D'autre part le problème de la *halakha* anonyme ne peut trouver sa solution en pensant que le Temple constituait une espèce de centre doctrinal catalysateur des traditions du Judaïsme, mais l'on doit plutôt admettre que la Mischnah est en définitive un document hillélite, et ce n'est qu'en suite qu'elle devint de domaine public et connut les scissions. Tant qu'elle était en butte avec l'école de Shammaï pour assurer la suprématie de son groupe, elle dut se défendre contre l'extérieur et toutes ses décisions reçurent une apparence d'unanimité publique et donc d'anonymat, car il ne s'agissait en dernier ressort que de disputes internes entre écoles et où le public n'avait rien à voir. On peut donc inférer que la Mischnah ne serait qu'un recueil abrégé de *halakhot* beaucoup plus longs et plus anciens, tandis qu'il paraît que la Tosefta, par exemple, ne reflète aucunement une halakha plus ancienne et plus amplifiée, mais qu'elle sert à expliquer d'une façon plus plénière la Mischnah elle-même.

L'étude de la Torah se faisait la nuit non pas par prescription légale ou par tradition mais par une habitude librement exercée, selon qu'on peut déduire du Seder Passover (2).

Ces méthodes, ces techniques, ces habitudes et ce bagage mischnaïque passèrent aux Juifs-chrétiens et constituèrent la matière brute de ce que devait devenir le Judéo-christianisme dans ses nuances multiples. Un examen des « traditions » attribuées à Pantène et relatées par Clément d'Alexandrie, ainsi que la méthode orale de leur colportage nous plongent dans l'ambiance talmūdique. Ces courants judaïques nous les décelons dans la littérature chrétienne, syriaque et alexandrine, encore beaucoup de temps plus tard sans qu'ils aient perdu de leur mordant sur la transmission du message évangélique malgré sa forte hellénisation, et ce qui fut hellénisé persiste encore de nos jours dans

(1) Le Patriarche Rabbi Judah négligeait pour son compte les treize manières différentes de présenter le même enseignement de la Mischnah.

(2) Gerhardsson, *op. cit.*, 237.

notre théologie et dans notre liturgie d'Occident et d'Orient, transmis à travers la théologie alexandrine, sans que nous nous en rendions toujours compte quant à la véritable origine de ces courants, ces idées et ces détails. Il y a ici tout un travail à faire et à refaire sur les textes originaux et sur une documentation encore imparfaite car elle est abandonnée en bonne partie aux jeux des hasards des découvertes papyrologiques et archéologiques. Tout cela doublé d'une connaissance étendue du Judaïsme et de ses rapports avec le monde environnant. C'est ainsi, par exemple, que nous pouvons maintenant commencer à nous faire des idées moins approximatives de l'extension et de l'importance du Judaïsme en Cyrénaïque et donc du Judéo-christianisme extra-alexandrin qui se prolonge à travers le grand véhicule des idées qu'est le désert (1), et c'est dans le désert libyque que nous trouvons des éléments de l'art pré-copte. Pour le rôle de la recherche papyrologique dans ces problèmes nous concluons avec S. Applebaum: «... when a future scholar undertakes the task of updating Tcherikover's theme, he should remember Papyrus Vatican XI, a government survey of the area between Cyrenaica and Egypt carried out in the late 2nd century and containing one or two names of Jewish interest. This district belonged administratively to Egypt when the survey was recorded» (2).

(1) A. Tcherikover, *Ha-Yehudim be-Mitsrain ba-tkufah ha-hellenistit ve-ha-romit le'or ha-papirologia* (avec le titre anglais suivant: The Jews in Egypt in the Hellenistic and Roman Periods in the Light of the Papyrological Documentation). 2e édition revue. Jérusalem 1963.

(2) S. Applebaum, dans *Bibliotheca Orientalis* XXI (1964), 81-82.

تعريف عن الكتب

للاب فرديناند توتل اليسوعي

التذكار المئوي لاخوية الأم الحزينة

وثائق تاريخية عن بيروت — جمعية العمال وما اليها ١٨٦٣—١٩٦٣

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥، صفحة ١٣٠، قطع ١٦X٢٤

هذا الكتاب سفر من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية على مئة سنة اخذاً من سجلات الاخوية، فيه مع نصوص القانون الاساسي للاخويات الوثائق المختصة بالآباء مرشدي الاخوية (ثيروفيتش † ١٩٩٨ : ادوار ميشل † ١٩٢٤ ، ديد † ١٩٤٤ ، ثابت † ١٩٤١ ، ابيلا † ١٩٤٦ ، توتل) واعمالهم ولا سيما وصف الرحلة الى الاراضي المقدسة بقلم جورج فغالي، وزيارة غبطة البطريرك تيودوسيوس السادس ودير البلمند. اضف الى ذلك ذكرى الاخويات في لبنان وسورية ومصر وبلاد المهجر مما يعز الاطلاع عليه بعد مرور الايام على وجوده. وفي هذا الكتاب عشرات وعشرات من الاعلام والصور، تحفة تحل محلها في سجل الحياة الدينية في بيروت وسائر البلاد الشرقية المسيحية. يهتدى اليها بفهارس متقنة وفي طبعة انيقة جميلة.

دخلت اخوية الأم الحزينة في جيلها الثاني، فعلى بركات الله وحماية السيدة العذراء ومرشدها حالياً الاب جورج عقل اليسوعي.

الملحمة الإلهية

تأليف الاسقف فلتن شين تعريب الخوري بولس ابو جوده

المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٧، صفحة ٨٦ ٢٠X١٤

هو تعليم مسيحي في اخص اسرار ايماننا، مبسوط بطريقة مشوقة واسلوب عصري.

ميشال سثروغوف او الواجب المقدس

اقتباس ميشال ابي صعب

المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٧ . صفحة ٢٢٤ ١٤X٢٠

هي رواية اخلاقية مفيدة لمعرفة الحياة في بلاد السكوب ولدرس احوالها الجغرافية كما كانت على ايام القياصرة .

في مرّ اليسا

منشورات قدموس

طبع على مطابع الشركة الحديثة للطباعة، الشن ه ل. ل. صفحة ٢٢٥ ١٢X١٧

رواية تمثيلية اخذت اوضاعها من تاريخ فينيقية بلغة عامية لبنانية .

امثال الانجيل

بقلم امين نخله من اعضاء المجمع العلمي العربي

مطبوعات دار الكتاب اللبناني في بيروت ، صفحة ٦٠ ١٤X٢٠

صوت المسيح

بقلم بولس نويا

طبعة ثانية منقحة ، صفحة ٩٠ ١٢X١٦

فتح العرب للصين ومعركة طلس او الطلخ لغزو بلاد الصين

للمستشرق الأنكليزي الكبير الدكتور دي. ايم . دنلوب والاستاذ بجامعة كولومبيا

بحث ترجمه عن الانكليزية يوسف يعقوب مسكوني

مطبعة شفيق ١٩٦٨، بغداد، صفحة ١٤ ١٧X٢٤

المطران فرنسيس ايوب كما عرفته بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته

بقلم جرجس المارديني

منشورات الرابطة الكهنوتية – صفحة ١١٠ ١٤X١٩

وُلد فرنسيس سنة ١٨٩٩ في حلب من رزق الله ايوب ونجلا خكيم، جاء بكرًا لاثني عشر من البنين والبنات . في ١٩١٣ دخل الاكليريكية الشرقية التابعة لجامعة القديس يوسف اليسوعية (بيروت)، انقطع عنها ايام الحرب ١٤

ودخل الجندية بصفته عثمانياً ؛ وبعد الحرب عاد الى الاكليريكية فكمل دروسه تحت رعاية مديرها الاب متر (Maitre) اليسوعي، وخدم كاهناً في ابرشية حلب المارونية من ١٩٢٥ الى ١٩٤٠، وسيم اسقفاً على ابرشية قبرص وقرنة شهوان ١٩٤٠–١٩٥٤ . وعاد الى حلب اسقفاً عليها وعلى اللاذقية ١٩٥٤ – ١٩٦٦ وتوفي في حلب .

على هذا المنوال الفضيل، نسج الأب جرجس ترجمة المطران ايوب فجاء بتحفة ادبية روحية جديرة بان تكون مثالاً يقتدى فيه بمثل تلك التراجم . لست ادري هل يؤاخذه عليها بعضهم بالاسهاب الفضفاض بما لا يزيد الجوهر والمعنى لكنها على هذه الشائبة مفيدة ولا سيما اذا اتخذها التلامذة في صفوف البيان مثالاً للتحرير والانشاء اللذيذ المزدهر. بوركت يداك يا ابانا.

واهديت الى المشرق مؤلفات قيمة من قلم الاب جرجس المارديني : عشر تمثيليات من الانجيل ، مرتا ومريم ، في غياب زوجها ، وهي من منشورات المطبعة الكاثوليكية .

اعمال المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني

الجزء الاول: المطبعة البولسية ١٩٦٦، جونية – لبنان، ترجمة السرة صفحة ٢٣٢ ١٨×١٧

مغلف الكتاب مزين بصورة المسيح الملك اخذاً من اثر بيزنطي — جاء في التوطئة : اكببنا على النصوص المجمعية نكتنه معانيها بدقائقها على ما في اللغة الرسمية التي تعتمدها الكنيسة من صعوبة وعسر لاسترسال الجمل فيها طولاً وتداخلاً حتى لا تخلو مراراً من الغموض والاشكال .

واعتمدنا في الترجمة النص المجمعي بلغته اللاتينية، واستعنا عليه ببعض ترجمات اجنبية، ولا سيما ما ظهر منها باللغة الفرنسية في جريدة الفاتيكان، « الاسرفاتوري رومانو » ومجلة « الوثائق الكاثوليكية » .

وجاء في النظرة التمهيدية في المجمع الفاتيكاني الثاني واعماله :

وقد جسد قداسة الحبر الاعظم باعماله العظام اهداف المجمع في التجديد والتوحيد في سفره الى القدس ومعانقته في مهد المسيحية اخاه قداسة البطريرك المسكوني، وفي اشتراك البابا بنفسه مع جميع المراقبين في صلاة واحدة بكنيسة القديس بولس بروما .

ولم يكن حج البابا الى الاماكن المقدسة لقاء مع الارثوذكسية فحسب، بل كان ايضاً انفتاحاً على الاسلام وما فيه من جمال التوحيد والايمان بالله .

هي فقرات اخذناها من فاتحة الكتاب، عسى ان تكون مشوقة لمراجعة الكتاب بكرّته. فنهنئ مطبعة المسرة على تقريب منآله لاسرتها ولسائر القراء، فيعتكف عليه الجميع بالتأمل والتفهيم والاستساغة ثم ينقلونه من حيّز النظر الى حيّز العمل وينمون فيهم وفي بيئاتهم والعالم اجمع عمل الخير البناء.

كتاب الايادي الضارعة

تأليف ميشال كواست – ترجمة الاب هكتور الدويهي

منشورات المطبعة الكاثوليكية – بيروت ؛ توزيع المكتبة الشرقية – ساحة النجمة

بيروت ١٩٦٧ صفحة ٢٤٣ ١٣X١٩

صوّر المؤلف على الصفحة الاولى من كتابه صورة يدين مبسوطتين عنواناً للصلاة وللعمل الذي يدعو اليه المؤلف والمترجم. تتمنى للكتاب الرواج بين ايدي الناشئة خاصةً.

شارل دي فوكو رسول الاخوة الشاملة

بقلم جرجس القس موسى

منشورات المطبعة الكاثوليكية ؛ ١٩٦٨ صفحة ٢٦٠ ١٤X٢٠

في المشرق ٢٠ صفحة ٩٩١ ؛ مقال مختصر عن رسول الصحراء شارل دي فوكو؛ وفي هذه السنة تعرّف القرّاء الى حياة هذا الرجل العظيم الشهير بجبالاته شاباً وباعماله المبرورة راهباً غيوراً امتاز بحياة تضحية فائقة وصار اداةً ربانية للتآلف بين المسيحيين والاسلام.

في ذيل الكتاب خارطة للبلاد التي عاش فيها بين فرنسة والشرق الادنى وبلاد شمالي افريقية خاصة وهي جزيلة الفوائد للتعرف الى تلك المنطقة التي ظلت زماناً بعيدة عن العمران.

قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة اقسام. القسم الاول الفتى الطليق ١٨٥٨–١٨٨٦ تهافته على الملذات: القسم الثاني ١٨٨٦–١٩٠٠ هدايته في الناصرة: اعترف بخطاياك وسوف تؤمن ؛ القسم الثالث ١٩٠١–١٩١٦ في قلب الجماهير الناسك المتقشف الواعظ مؤسس الرهبانية : اخوة يسوع الصغار– اخوات يسوع الصغيرات. وهذا الكتاب هو تاريخ وعنوان لحياة القداسة : تتمنى له النجاح بين قراء الشبيبة خاصة ولغته العربية الفصحى خير مهذب لتحسن الانشاء في المدارس.

الله محبة

كتيّب توزعه وترسله مجاناً جمعية « السلام والمحبة »

صندوق البريد رقم ١١٥١ ، بيروت – لبنان مطبعة تلفاظ بيروت: صفحة د ١٤ قطع ١٢X١٧

ان المجمع الفاتيكاني الثاني كثيراً ما يدعو الى معالجة العقائد الدينية بين المسيحيين بالمحادثة والمحاورة المؤدية الى التفاهم والتآخي والمحبة ، وهذا الكتيّب مفيد بالمواضيع التي يطرحها للمحاورة dialogue وفيه مع التعاليم المسيحية عن افعال الرحمة آيات من القرآن الكريم الداعية الى معرفة الله والى الاعمال الصالحة .

الشيخ طه الولي

بقلم عبد الرحمن الاوزاعي – شيخ الاسلام وامام اهل الشام

دار صادر بيروت ١٩٦٨، صفحة ٢٥٤ ١٧X٢٤ مصور: الثمن ٦ ل. ل.

جاء في الصفحة الاولى من الكتاب دراسة مفصلة تتناول تاريخ الامام الاوزاعي والمؤسسات المنسوبة الى اسمه والتقاليد الشعبية المتأثرة بمكانته الروحية مع مجموعة من الرسوم والوثائق التوضيحية .

وصفحات هذا الكتاب أشبه منها بصفحات جريدة تروي الاخبار على علاتها والاخبار والحوادث والاحاديث عن هذا الرجل لا يكاد يحصى لها عدد فكُتبت للبنيان الروحي ولرفع النفوس الى الصالحات .

قال صفحة ٤١ : « ولما مات الاوزاعي رضي الله عنه اجتمع للصلاة عليه ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى، وروي انه اسلم في ذلك اليوم من اهل الذمة اليهود والنصارى نحو ثلاثين الفاً » .

ودائرة المعارف الاسلامية بترجمتها العربية تقول عن الاوزاعي ان اصله وفصله مجهول وتخصه باسطر معدودة لا غير .

الاصول العربية للدراسات السودانية

بقلم داغر يوسف اسعد

صفحة ٢٦٢ ١٧X٢٣ ، مطبعة النجوى بيروت ١٩٦٨ – ويطلب الكتاب من مؤلفه ملك عبد الباقي – شارع المعاري، بين المكتبة الشرقية ساحة النجمة ص. ب. ١٩٨٦ بيروت

Bibliographie وتعريبها بيبليوغرافية هو علم التعريف بالكتب . وهذه « السودانية » تضم نحواً من الفي مصدر او مرجع في الدراسات من كتب

وضعها او ترجمها سودانيون تجد لأختها مفصلة ومرتبة الترتيب الابجدي بين صفحة ٢٣٩ و٢٥٦؛ وتشمل فصولا الدين وابحاث دينية وكلها اسلامية مما يساعد على التفاهم والتقارب بين اهالي بلد واحد؛ وفيها الكلام عن الادب على العموم؛ وفي اللغة والنقد والسفر والقصة المسرحية والدواوين والدراسات الاجتماعية والتعليم والتاريخ والجغرافية والاسفار وفي علوم الاقتصاد والزراعة والصحة والفنون والى غير ذلك مما يجعل مراجع هذا الكتاب كدائرة معارف لا غنى عنها لمعرفة ما يمتاز به القطر الشقيق؛ وما اجمل الكثيرين من قراء العربية محتوياته وان الفهارس في زيل الكتاب خير دليل لتقريب موادها للقراء .

فقد طلبت سعياً مشكوراً في جمع اعدادها وتنسيقها ، ولا عجب ان قام بهـا السيد يوسف اسعد داغر من له الاثار الطيبة في المكاتب الاختصاصي بعلم المكتبات والتوثيق العلمي .

ارسطو – دستور الأثينيين

عرّبه عن اصله اليوناني وعلّق عليه الاب اوغسطينوس بربارة

اللجنة الدولية لترجمة الروائع – بيروت ١٩٦٧ ، المطبعة الكاثوليكية : صفحة ١٨٩ ١٧X٢٢

نشكر للاب اوغسطينوس بربارة اقدامه على تعريف القراء بهذا الاثر اليوناني الجليل فقد احسن بتعريبه وتقريب معانيه وتوضيحه بالحواشي التاريخية . وان هذا الكتاب لفتح في تاريخ الادب على ما فيه من فهرس الاعلام اليونانية وترادفها بالعربية .

لوقيانوس السميساطي – مسامرات الاموات واستئناء ميت

نقله من الاصل اليوناني الى العربية وقدم له وعلق عليه الياس سعد غالي

مجموعة الروائع الانسانية – الاونسكو – السلسلة العربية – اللجنة الدولية لترجمة الروائع – بيروت ١٩٦٧، صفحة ١٦٧ ١٧X٢٢ المطبعة الكاثوليكية – فهرس الاعلام صفحة ١٤١ الى ١٦٧

هذا الكتاب مفيد جداً للتعريف بالاسماء اليونانية ومرادفها بالعربية، فهو مصور وفيه خارطتان لبلاد اليونان وآسيا الصغرى، ولما بين رسالة الغفران لابي علاء المعري ومسامرات لوقيانوس من توارد الافكار توّج الناشر نصوصه ببيت من الشعر للمعري . فهو خلاصة لها وتوطئة لدراسة مقابلة بين الأدب العربي والادب اليوناني فاحسن .

النفس البشرية عند ابن سينا

نصوص جمعها ورتّبها وقدّم لها وعلّق عليها الدكتور البير نصري نادر

من اساتذة الفلسفة في الجامعة اللبنانية

دار المشرق المطبعة الكاثوليكية ، ص. ب. ٩٤٦ بيروت لبنان صفحة ١١٦ ٢٥×١٨
ورق صقيل طبع جيد وضاح

يحوي هذا الكتاب بعض النصوص الخاصة بالنفس الانسانية، مقتبسة من رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها، والفصل الاول والثاني من كتاب الشفاء وفصلاً من كتاب الاشارات والتنبيهات . والمقالة السادسة من القسم الثاني من كتاب النجاة رجع بها الناشر الى الطبعة التي نشرها ف. الرحمن F. Rahman في لندن ١٩٥٩ وقدم لها بدرس تحليلي وتعليقات مفيدة لطلاب الفلسفة العربية الاسلامية خاصة ولقراء العربية عامة .

من مقدمة ابن خلدون

نصوص جمعها ورتبها وقدم لها الدكتور البير نصري نادر المذكور سابقاً

دار المشرق المطبعة الكاثوليكية، صفحة ١٧١ ٢٥×١٨ السعر ٧٥٠ غ. ل.

في هذا الكتاب ترجمة مختصرة لابن خلدون ومنتخبات من المقدمة بستة ابواب .

الفكر

مجلة ثقافية — تصدر بتونس شهرياً مؤسسها ومديرها المسؤول محمد مزالي

رئيس التحرير البشير بن سلامة

طبع ونشر الشركة التونسية، صندوق البريد ٥٥٦ تونس، صفحات الثمرة معدل المئة شهرياً
قطع ١٦×٢٤ — مصور — تصدر المجلة عشر مرات في السنة، قيمة الاشتراك السنوي ديناران

بين يدينا اربع نسخات من مجلة الفكر السنة ١١ العدد ٨ ايار ٩ حزيران، ١٠ تموز ١٩٦٦، والسنة ١٢ العدد ٤ كانون الثاني، ٢ تشرين الثاني.

جاء في مقدمة العدد ١٠ ، ١٩٦٦

« لاحظنا ان اخواننا في المشرق يكادون يجهلون كل شيء عن الادب التونسي... فسعينا وما نزال نسعى الى اعانتهم على الاهتمام بالادب والادباء في هذه الديار . والحكم له ولهم او عليهم بعد درس الوثائق و... تبادل

المعلومات مع ذوي المسؤولية منهم ولعلنا وقفنا الى بعض ما نريده ... عشر سنين بعد استقلالنا ».

هذا واننا نرحب بمجلة الفكر وندعو الى مطالعتها لما فيها من مقالات شائقة وافادات علمية رابطة بين الشعوب العربية.

الاذاعة والتلفزة

مجلة مصورة تصدرها الاذاعة والتلفزة التونسية مرتين في الشهر

مطبعة كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار، قطع ٢١ × ٢٧ رئيس التحرير عبد الحميد الشيخ

بين يدينا العدد ١٨١ و١٩٠ من السنة الثامنة: وكلاهما دليل على حركة العمل والنشاط في ميادين الثقافة والادب.

ان الرئيس حبيب بورقيبة مشهور في العالم بما احدثه من التطور السريع في حياة البلاد التونسية. تصفح مجلة الاذاعة تمرّ مع برامج الاناشيد تفاصيل حياة الجمهورية التونسية لكل يوم وساعة كما في ارقى البلاد. ومن مقالاتها المهرجان الدولي للايام السينمائية في قرطاج — بورقيبة وابناؤه — صفحة مشرقة من تاريخ شعبنا الخ الخ.

الشعراء الفرسان

بقلم بطرس البستاني

الطبعة الثانية، بيروت لبنان ١٩٦٦، صفحة ٢٤٦، قطع ١٧×٢٤ دار المكشوف

الثمن ٥ ليرات لبنانية

مؤلف هذا الكتاب علم من اعلام النهضة العربية في لبنان. ولد في دير القمر سنة ١٨٩٨ واذ هو اليوم في عز الكهولة يقضي اياماً مباركة في التأليف والتعليم. وهذا الكتاب انموذج من منتوجات قلمه الخصيب. استند في حديثه الى أئمة المؤلفين وتشبع انشاؤه العربي من فيضان نشأت العرب الخالصة في الادب والتاريخ. فتح الكتاب بمقدمة عن شعر الفروسية: فحلل فيها نفسية البدوي الشاعر: فهي الحماسة والفخر وما اليها من شرف المعتد ومكارم الاخلاق، متصدياً لما كتبه الاب لامنس في كتابه « مهد الاسلام » وسار يكلمنا عن ايام العرب وعن السادات والاشراف وعن العبيد والصعاليك بطبعة انيقة وحروف جميلة وورق صقيل مما يرغب في اقتناء الكتاب. وقال ص ٢٣٨: « علينا ان ننتظر القرن التاسع وما بعده من القرون الوسيطة لنشاهد

الفروسية المسيحية في اوروبة والفروسية الاسلامية في الاندلس». واقول «عند قراءة الياذة هوميروس» لسليمان البستاني نرى تشابهاً غير يسير بين فروسية العرب وفروسية اليونان. فانظر تصرف اخيليس مع بريام ابي هيكتور.

غادة افاميا، دراما شعرية في اربعة فصول

بقلم عدنان مردم بك

منشورات عويدات . بيروت لبنان، صفحة ١٢٥ ، ١٤×٢٠ الثمن ٢٠٠ غ. ل.

ورق صقيل طبع متقن باحرف كبيرة جميلة، شعر متواصل النفحات بين اساليب الشرق والغرب . ذهب شاعره المذهب الخيالي الرومانطيقي المنطرف يشف عن حكاية رمزية لنضال الشعب السوري في الانقلابات السياسية المعاصرة، مسرحها افامية البلدة القديمة في سورية في وادي العاصي تلك التي اجتاحها الفرس سنة ٥٤٠ وفتحها العرب ودمرتها الزلازل وتعرف في يومنا بقلعة المضيق . و «الغادة» هي ابنة زعيمها وهو القائل ص ٨٢ :

اذا فكرت في فقـــد ابنتي او فقـــد اوطاني
سخوت مـــع المصيبة بابنتي وكتمت اشجاني
وما حب اذا ما قيس بعـــدل حب اوطـــان

الطائشة، رواية خيالية تهذيبية

بقلم بقله (انيس خليل)

مطابع ابن زيدون — دمشق ١٩٦٧ ، صفحة ١٢١ ١٥×٢٢

ذكر المشرق سنة ١٩٦٥ مؤلفات السيد انيس بقله في الكلام عن الحركة الفكرية في سورية، وعدد تلك المؤلفات ١٨ . وقد اضاف اليها صاحبها هذه الرواية وفيها اخبار «الطائشة» التي بعد ان سلكت طرق الخطايا تابت واهتدت وصارت حكايتها افادة للمستفيدين وكذلك كتاب «جبر الخواطر»، وفيه قصة خيالية تهذيبية ص ١٢١ — قطع ١٥×٢٣ — مصوّر .

موجز علم العروض

بقلم نجيب مكربنه

مطبعة الضاد — حلب — صفحة ٢٦، قطع ١٧×٢٤، ثمن النسخة ٧٥ غ. س.

في فجر هذا القرن كتب مع نجيب مكربنه ونجيب رياط (الاكسرخوس جبرائيل) وتقولا سايا (الارشمندريت بطرس) وايزيدورس قتال (متروبوليت

حلب) تلميذاً ايام كانت المدرسة الاسقفية في رعاية المطران كيرلس جحا مزدهرة بتدريس الاخوة المرتمين من باريس: وكان استاذنا بالعربية الخوري اثناسيوس كبابه. عليه تعلمنا وتعلم نجيب مكربنه ويبلغ اليوم الثمانين من عمره ويترك هذا الاثر نتيجة تعليمه في ثانوية حلب. ونعم الاثر. لقد اقتطفه المؤلف من كبار ائمة هذا العلم كالشيخ ناصيف اليازجي والاب لويس شيخو، ميسراً باختصار كل ما تلزم معرفته في المراجعات الامتحانية للدارسين.

الفن القبطي المصري في العصر اليوناني الروماني

بقلم لبيب يعقوب صليب

الجزء الاول، ١٩٦٤، مطبعة قاسد خير، القاهرة قطع ٨ صغير، صفحة ١١٣، مصور الثمن ١٥ قرش.

من هم القبط؟ ص ١٦ التعريف بالفن القبطي ص ٢٦، فن ديني ومدني ص ٤٤. فن جمال وهيبة لا ضخامة ولا عظمة — انتشار الفن القبطي في اوروبا. هي عناوين اهم فصول هذا الكتيّب الجامع لفوائد وملاحظات يعز وجودها في متناول القراء يرجع فيها صاحبها الى اقوال العلماء الاقدمين والمحدثين، فله الشكر بما افاد من جديد وقديم.

بدر شاكر السيّاب، رائد الشعر الحر

بقلم عبد الجبار داود البصري

دار الجمهورية بغداد ١٩٦٦، صفحة ١٠٦ قطع ١٧X٢٤ مغلف، تصميم نوري الراوي، خط الخطاط غني — سلسلة الكتب الحديثة

حياة السياب تذكر بالشاعر الافرنسي موسه Musset المتألم الشاب. دب الالم في قلب الشاب عند خيبة آماله بالزواج بقروية احبها. ولوعة الالم رافقته في حياته القصيرة متخبطة بالحوادث السياسية التي اجتاحت العراق.

وُلد سنة ١٩٢٦ في قرية جيكور التابعة لقضاء ابي الخصيب، درس الأدب العربي واللغة الانكليزية. تخرج من دار المعلمين ١٩٤٨ استاذاً في ثانوية الرمادي، فصل عن التعليم وسجن... ثم انفك رباطه بالشيوعيين. تزوج من احدى قريباته من آل عبد الجليلي وكانت ثورة الجزائر ١٩٥٦ فوقع على عريضة احتجاج انتصاراً لها وعمل في اللجنة الوطنية للادباء

الثوريين في العراق . وفي سنة ١٩٥٩ سجنه الشيوعيون . ومرض وسافر الى لبنان للمعالجة وعاد منه بلا جدوى، وقد انفق حتى المنحة التي استحصلها له ادباء بيروت . توفي في الكويت ١٩٦٤ .

خصه عبد الجبار داود البصري بهذا الكتاب وروى فيه الكثير من اقواله وشعره الحر الغير مقيد بقواعد النظم والقصيدة . قال بدر (ص ١٥) مؤرخا بعاطفة ما حل بالعراق خلال الحكم القاسمي:

الموت في الشوارع
والعقم في المزارع
وكل ما نحبه يموت
الماء قيدوه في البيوت
هم التتار اقبلوا

بالظاهر ان السياب كان مسلماً مؤمناً ولكن ايمانه على غير ما يؤلف عند المسلمين ويأتي بالغرائب : فالالوهية تتجسد بالانسان العربي (محمد) : « ان الحنا فينا» (ص ٢١) — ويقول متنبأ بالمسيحية : « انا المسيح يجر في المنفى صليبه » (ص ٣٨) كانه في آلامه يجد تعزية في ذكر المسيح ، ويا ليته تبحر في معنى الصليب لهان عليه الامر كما عند المسيحيين في ايمانهم بسر الفداء .

الاديولوجية العربية

بقلم الدكتور ياسين خليل

صفحة ١٨٦ ، قطع ٨ صغير — بغداد ١٩٦٦

جاء في قاموس لاروس تحديداً لكلمة « اديولوجية » انها عبارة عن افكار وتعاليم سياسية واجتماعية يستوحي منها الاحزاب في اوضاعهم مبادئ الحكم في طبقات الشعب .

وتلك التعاليم هي عربية اسلامية . يدور حولها هذا الكتاب متوغلاً في ابحاث فلسفية يغور فيها التاريخ ومنها يتخذ المقابلة بين المسيحية والاسلام ولعله لو فطن الى اقوال الانجيل وتفسيرها في التعليم المسيحي الصحيح لما وجد التباين الفسيح الذي ينادي به الاشادة في حل المشكلة الاجتماعية . وقال في ختام الكتاب ص ١٨٤ عن الوحدة العربية : « كانت املاً ثم غدت شعاراً ثم استحالت بعد ذلك واقعاً حياً مع بلاد الجمهورية العربية

المتحدة التي ربطت الاقليم السوري بالاقليم المصري بوثاق شعبي واستفتاء جماهيري اكد عروبة الامة وصفاء عقيدتها واندفاعها الى جمع شتات الامة في دولة الوحدة المنشودة وتحرير الاجزاء العربية السليبة ». والله اعلم !

تعليم اللغة العربية في نيجيريا — السلسلة الثقافية ١٢

بقلم سليم حكيم

بغداد ١٩٦٦ : صفحة ١٣١ قطع ١٧×٢٤ — مصور ، سعره ١٠٠ فلس

اقام المؤلف حوالى الخمسة اشهر موفداً من الحكومة العراقية في احتفالات استقلال نيجيريا في ١ تشرين الاول ١٩٦٠ . وقد دعي عن طريق معهد التربية لجامعة ابادن لدراسة كيفية تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة اجنبية في مدارس ودور المعلمين في نيجيريا وتقديم التقرير اللازم بذلك . وهذا الكتاب نتيجة لبحثه على مدى اسابيع معدودة وعلى تلك المدة القصيرة تمكن من زيارة المدارس والمعاهد التي تعتني بتدريس اللغة العربية وجاء بالافادات عن هذه البلاد وقال ان الجالية اللبنانية فيها كبيرة (ص ٥) .

محمد كرد علي

بقلم جمال الدين الآلوسي

وزارة الثقافة والارشاد — سلسلة الكتب الحديثة ١٢

دار الجمهورية، بغداد ١٩٦٦، صفحة ٣٦٦ قطع ١٧×٢٣، ثمن النسخة ٣٠٠ فلس . مصور

اسرة الآلوسي تنسب الى ألوس وهي قرية على الفرات قرب عانات (سركيس معجم المطبوعات) . انجبت رجالات اشتهروا في عالم التأليف ومنهم صاحب هذا الكتاب، درس فيه درساً فائضاً حياة رجل من عظام رجال عصرنا . قال ص ١٢ وما بعدها : « محمد كرد علي من اصل عراقي كردي الجنس عربي المربى شامي الموطن والولادة والوفاة، دافع عن العروبة والاسلام ودعا الى الحرية وقاوم الاستبداد واجال قلمه في ميادين مختلفة (محمد بهجة الاثري)، وخلص المنجد (توتل) ترجمة كرد علي محمد فقال : «من رجال الدولة والتأليف في سوريا، رئيس المجمع العلمي الدمشقي ١٩٢٠—١٩٢٥، وزير المعارف عضو المجمع العربي الملكي في مصر . من مؤلفاته « خطط الشام » و « تاريخ احمد بن طولون » و « فلاسفة الاسلام » .

هذه افادات لا بد من اذاعتها بين قراء العامة مثالا يقتدى به، اما اهل

الخاصة فادعوهم الى تصفح هذا السفر الجليل فيأخذهم الاعجاب بما يقرأون فيه عن اعمال كرد علي مفصلة : اساتذته . الصحافة (المقتبس) رحلاته . مذكراته ؛ اسلوبه الانشائي ؛ علاقاته بالمشاهير وطنيته ... وفي نهاية الكتاب المراجع وفهارس الاعلام في صفحات ٣٣٣–٣٦٠ تقرب سبيل المطالعة والدرس فعلى بركات الله .

الثعلب والعنب

بقلم جولييرم فيجويردو

ترجمة فيصل الياسري — مراجعة محمد جديد

ادب ؛ مسرح دمشق ١٩٦٧ ، صفحة ١١٧ ، ١٤×١٩ ، ٦٠ ق. س.

مؤلف هذه المسرحية برازيلي . كان من رجال القانون فانصرف الى الادب . هذه المسرحية عرضت على المسرح الشعبي في مدينة بونس ايرس وسرعان ما ظهرت في لغات عديدة وعرضت في فيينا وبولونيا وبرلين ولشبونه ولينغراد وغيرها من العواصم . وقد عربها صاحب الترجمة : « رأى ثعلب عنقوداً يتدلى من كرمة عالية ... فاراد ان يصل اليه ولكنه لم يستطع فقال هذا العنب حامض » مغزاه ان الحرية صعبة المنال .

قامت بتمثيلها على مسرح القباني في دمشق تحت اسم (العنب الحامض) فرقة المسرح القومي .

النقد

اسس النقد الأدبي الحديث — تعريب شنورّر جوزفين مايلز جوردن ماكنزي

ترجمة السيدة حيفاء هاشم — مراجعة الدكتورة نجاح العطار

دمشق، الجزء الاول، صفحة ٣٧٥ سمره ٣٠٠ ق. س، والثاني ٣١١ سمره ٣٠٠ ق.س قطع ٨

فضلاً عن اخطاء التنقيط وهي كثيرة ولم تصحح يجد القارئ جدول تصويب في الجزء الاول من ص ٣٦١ الى ص ٣٧٥ ؛ وفي الجزء الثاني من ص ٣٠٥ الى ص ٣١١ تصليحاً للاغلاط المطبعية . ولا بد من المرجع اليها قبل مطالعة هذا المؤلف الضخم . تتمنى لاصحابه اعادة طبعه مشفوعاً بما ينتظر من التعليقات المساعدة على فهمه فيحل المحل المرموق في مصاف كتب الفن التي نحن بحاجة اليها .

وفي مناسبة الكلام عن النقد لا يسعنا الا ذكر المرحوم قسطاكي بك

الحمصي الحلبي مؤلف كتاب « منهل الوراد في علم الانتقاد »: جزءان. الاول ص ٣٠٤ والثاني ص ٢٩٦ قطع ١٢X١٨ مطبعة الاخبار بالفجاله بمصر ١٩٠٧. فهذا الكتاب لذيذ القراءة لم تذهب الايام بروعته نشير اليه لمن يهمهم التبحر في هذا الموضوع العويص البعيد عن تفهم العامة. وذكر العدد ٤ ١٩٦٧ من مجلة الفكر التونسية المختص للنقد وقد اشرنا اليه في هذا المقال.

جاء في المدخل: « القصد الاساسي من هذه المجموعة من المقالات النقدية هو توفير نصوص من الصعب الحصول عليها... نحن مدينون في مختاراتنا هذه لطلابنا في قسم الادب الانكليزي الذين برهنوا على فائدتها (ص ١٠).

وفي فهرس الجزء الاول (المصدر) والجزء الثاني (الشكل) اسماء المؤلفين الذين اخذت عنهم المقالات وكلها على ما ادري مأخوذة من اصل انكليزي. فمن الثقافة الانكليزية استقى المؤلفون معلوماتهم وليس بينها ذكر لنقاد الافرنسيين. وهذا الكتاب اشبه منه بروؤس الاقلام التي يلتقطها الطلاب ابان المحاضرات في الجامعات.

نتمنى له الرواج في المدارس العليا ونستبيح ملاحظة نستغفر عن ابدائها ما هي الا لخير المصلحة.

درب الراحة — ادب شعر

بقلم علي كنعان

دمشق ١٩٦٦، صفحة ١٥٧، قطع ١٤X١٩ — ١٠٠ ق. س.

اليك بعض عناوين الفصول التي يحويها هذا الكتيب ومنها ترى تصرف المؤلف بشعره الجديد وقد استوحى مواضيعه من حوادث اليوم. فميلاد النسر هو « استقلال الجزائر » « النسر في اوراس افرخ... فاعطى كل ثانية مسيح ».

علي كنعان له بعض الالمام بالمسيحية. والفاظها الدينية تتوارد على شعره: رنة الاجراس: اخشاب الصليب، وقال ص ٥٥: « يا يسوع! انا انسان، غريب الصنع، مبهم، انا طفل مزّق الحرمان قلبه: انا روح يتألم عرف الله محبة داوني فك قيودي... يا يسوع ».

عسى ان تؤدي هذه الآهات من قلب الشاعر « الناشئ » الى التعمق في بحث البدء والمصير والايمان والرجاء .

الناجون

بقلم جيرهارت هاويتمن

مسرحية في خمسة فصول — ترجمة محمد جديد

ادب ، مسرح ، دمشق ١٩٦٦ ، ١٩X١٤ صفحة ١٨١ ، ١٢٥ ق. س.

يعتبر جيرهارت هاويتمن ١٨٦٢—١٩٤٦ من كبار اساطين الادب المسرحي الالماني . تمثل مسرحية « الناجون » دور الجمهور وتتصدى لحالة الفقر المدقع الذي تعيش فيه تلك الطبقة البائسة من البشر .

جاء في الصفحة ١٣ من اقوال الناجة الاولى :

« انا لست كسولة ابداً ولكني لم اعد استطيع المضي في العمل . فقد عانيت من الاجهاض مرتين اما زوجي فرجل يائس عاجز وكان يشتغل عند راع غير ان هذا الراعي لم يستطع ان يخلصه من ذلك البؤس ... ليس في وسعنا ان نعمل فوق طاقتنا . هل تتكرم يا سيدي وتسمح لي في هذه المرة ببعض الجرمشنات ؟ (الغرمش ؟) بضعة جرمشنات فحسب لنحصل على الخبز . الفلاح لم يعد يقرضنا وفي البيت عدد كبير من الاطفال ... »

يحمد جديد الفضل في نقل هذه المسرحية الى العربية فتعرف القراء الى اسلوب المؤلف الالماني . وقد يؤاخذ لمعالجته المشكلة الاجتماعية من غير الوعي الى حلها حسب المبادي الكاثوليكية .

المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي في بغداد

بقلم كوركيس عواد مدير مكتبة المتحف العراقي

مطبعة الرابطة — الجمهورية العراقية — بغداد قطع ٢٢X٢٨

القسم الاول المخطوطات التاريخية ص ٨٢

القسم الثاني المخطوطات الادبية ص ٥٣

القسم الثالث الطب الصيدلة البيطرة ص ٢٨

مستل من مجلة سومر .

اصول اسماء المواضع العراقية

للاستاذ كوركيس عواد عضو المجمع العلمي العراقي

من كراس قطع ٢٤×١٨ سم فيه المراجع العربية القديمة والحديثة والمراجع الافرنجية منها:
Costaz L. *Dictionnaire syriaque français*. Beyrouth, 1963 القاهرة ١٩٦٣

الاسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل في العصور الاسلامية

بقلم كوركيس عواد مدير مكتبة المتحف العراقي

مستل من مجلة «سومر» ، مطبعة الرابطة – بغداد ١٩٥٧ ، كراس كبير ٢٨×٢١ سم فيه ١٨٧ كتاب او رسالة

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

رسالة في الاحجار الكريمة – تأليف ابيفانيوس

المتوفى سنة ٤٠٢ او ٤٠٣ – قدم لها وحققها كوركيس عواد

مطبعة المجمع العلمي العراقي : بغداد ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٧ م : صفحة ١٥ ×٢٤ ١٧

تاريخ واسط

تأليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل المتوفى سنة ٢٩٢ هـ ٩٠٥ م

تحقيق كوركيس عواد – ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه

مطبعة المعارف – بغداد ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م، صفحة ٤٠٠ ، ٢٥×١٧

في اواخر هذا الكتاب الجليل ص ٣٠٧ فهارسه . ومنها فهرس مراجع البحث والتحقيق ؛ وفهرس اسماء الاشخاص، وفهرس اسماء الامكنة والبقاع ، وفهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الاحاديث النبوية ؛ وفهرس عمراني عام، وفيه الالفاظ الدخيلة والمعربة والمولدة والمصطلحات ولغة الحضارة والحيوان والنبات والاحجار والمآكل والملبس والمسكن وغير ذلك .

وكل هذا دليل على العناية البليغة التي بذلها السيد كوركيس عواد في تحقيقه وطبعه هذا الكتاب ؛ مما يدعو الى تقدير جهوده والسؤال له المكافأة من الله على اتعابه في خدمة الثقافة العربية عامة والعراقية خاصة .

تنقيح الابحاث للملل الثلاث

لسعد بن منصور بن كمونة (القرن السابع الهجري) عني بنشره موسى پرلمان

من مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧، صفحة ١٢٠ × ١١

تعليقات باللغة الانكليزية ٢٦×١٧

قال المؤلف ص ١ :

عملت هذه المقالة في تنقيح الابحاث للملل الثلاث: اعني ملة اليهود وملة النصارى وملة المسلمين. فذكرت فيها اولاً احوال النبوات مجملاً ؛ ثم ذكرت ما يختص بكل ملة من هذه على ترتيب ازمنتها. فابتدأت باقدمها زماناً وهي الملة اليهودية، وثلثها باوسطها وهي الملة النصرانية، وجئت باحدثها وهي الملة الاسلامية. وحكيت عن كل واحدة من هذه الملل اصول معتقدها سوى التفاريع لتعذر استقصائها ، واردفت ذلك بحكاية ادلة اربابها على صحة نبوة النبي الآتي بها . واوردت ما وجه من المطاعن عليها وما ذكر من الاجوبة مما لا يصلح لذلك منها .

وجاء في مقدمة الكتاب الانكليزية ص ١٧ :

سعيد بن منصور بن كمونه طبيب العيون ومعلم الفلسفة . عاش في بغداد في القرن الثالث عشر وكان فيها من اعيان الطائفة اليهودية .

مؤلفاته وقد حفظ منها عدة مجلدات، هي تعنى بالفلسفة خاصة . اما ترجمة حياته فمعروفة من فائدتين مختصرتين موجودتين في جريدة معاصريه جاء فيها سنة ١٢٨٤ ما يلي : في هذه السنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م عرف في بغداد ان اليهودي عز الدولة ابن كمونه الف كتاباً عنوانه «التفحص في الايمانات الثلاثة» وفيه اظهر وقاحة في الجدل على النبوات . معاذ الله ان نعيد ما قاله، اما الناس فغضبوا وتجمعوا ليهاجموا بيته ويقتلوه وان الامير تمكاي والي العراق مجد الدين بن الاثير قاومهم واتهم الناس ابن الاثير بانحيازه الى ابن كمونه والدفاع عنه .

وبامر الوالي اذيع في بغداد ان ابن كمونه مسجون صباح اليوم التالي فهدئت الجماعة وما عاد جاء ذكره .

وحمل ابن كمونه في صندوق الى الحلة حيث كان ابنه موظفاً وهناك عاش ومات .

الصراع على الخليج العربي

بقلم سليم طه التكريتي

وزارة الثقافة والارشاد

صفحة ١٤٦ ؛ قطع ٨ صغير – بغداد ١٩٦٦ ؛ ثمن ١٠٠

لصاحب الكتاب مؤلفات ذكرها في المصادر وهي دليل على تضلعه من المواضيع التي بحثها . وفيها النظرات السياسية والاقتصادية على حياة ما يسميه الخليج العربي والى عهد قريب منا لم يعرف الا بالخليج الفارسي .

مفيدة قراءة هذا الكتاب بطبعته الانيقة ؛ فيعرفنا بان « موطن صيد اللؤلؤ » اصبح في نظر اوروبا المفتاح الذي يفتح « مغاليق الشرق كله والباب الذي تستطيع اوروبا ان تدخل منه الى الهند والصين » – وفي ختامه ملحق في الاتفاقات والمعاهدات بين الدول الاوروبية وشيوخ الخليج العربي ؛ وفيه الوثائق التاريخية مع ذكر المصادر الانكليزية والافرنسية المستند اليها .

الاقتصاد المخطط

بقلم روميف جان

ترجمة احسان سركيس مراجعة الدكتور سهام الشريف

دمشق صفحة ١٩٦٦ ؛ ١٧٢ قطع ٨ صغير ؛ سعر النسخة ١٠٠ ق. س

من هو جان موريف ؟ الا يكون الاسم محرفاً عن جاك رويف المؤلف الاقتصادي الفرنسي ؟ يا ليت صاحب الترجمة رفع الالتباس باللفظ والمعنى في ارداقه اهم الاوضاع المعربة باصلها الفرنسي واحرفها الفرنسية .

جاء في ظهر الكتاب : « انه على صغر حجمه دراسة علمية دقيقة وافية لموضوع التخطيط في الاقتصاد . يبدأ بتعريف معنى الخطة ثم ينتقل الى الحديث عن التخطيط السوفياتي ... ويتناول ما اخذت به البلدان ذات النظم الرأسمالية من اشكال التخطيط واساليبه » . وقال ان هذه الدراسة تتسم بالوضوح والسهولة مما يجعلها في متناول القارئ العادي المتوسط الثقافة . فاقول نعم على ان يكون له المام باللغة الفرنسية التي تقل عنها المترجم فيفسر مفمضاتها .

كيف نكتب تاريخنا القومي ؟...

تحقيق مجلة المعرفة

صفحة ٢٣٨ ، قطع ١٤X١٩ ، سعر النسخة ١٢٥ ق. س

بماذا اشبه مؤلف التاريخ ؟ بعزاف على العود او على البيانو لا بد له من آلة كاملة التوازن وان يعرف التوقيع عليها ولمن يوقع .

كاتب التاريخ يحتاج الى الاوضاع او المواد ولا بد له من ان يقدر صحتها كما يقدر العزاف صحة رنات الآلة الموسيقية وهناك السامعون على اختلاف حالاتهم منهم الصغار والكبار والبسطاء والعلماء واذواقهم ومذاهبهم . فيا من تكتب تاريخنا القومي عليك ان تستقصي مواده من اصولها وتحسن تركيبها وتسأل لمن تكتب ؟ لطلاب المدارس او الجامعات او لرجالات العلم والتفكير ؟ ومن ثم تأتينا بما يجود به عقلك الثاقب ونظرك الشامل ...

سنة ١٩٦٥ نشرتُ في المشرق (اذار – نيسان) صفحات عديدة تحت عنوان « الحركة الفكرية في سورية » . وفي تعريف الكتب ص ٢٥١ وما بعدها نقدت الكتب المدرسية المؤممة وما شاكلها ولفت النظر الى الحذار من التحيز والتفرقة والتحزب في كتابة التاريخ، ودعيت الى التفاهم بين الاسلام والمسيحية فتأتي المؤلفات بنغمات مطربة موافقة لهوى السامعين او القراء من دون شواذات ولا لحن ... ويغلب على ظني ان اصحاب المقال الذين جاوبوا على السؤال « كيف نكتب تاريخنا القومي » ؟ اطلعوا على ما كتبت في المشرق وتناولوا من ثم البحث من هذا الباب المفتوح على درس التاريخ فاحسنوا وافادوا ولهم الشكر الجزيل . وهم سليمان الخش، عزة دروزة ، شبلي العيسمي ، نور الدين حاطوم : زكي الارسوزي ، محمد المبارك : ياسين الحافظ ، جورج طعمه ، انور الرفاعي ، ظافر القاسمي ، عبد الغني حسن ، يوسف الحوراني ، عبد العزيز عبدالله ، احمد الفتيح ، سلامة عبيد .

التنمية الاقتصادية

بقلم عبدالله مكسور

دمشق ١٩٦٧ – صفحة ١٣١ ، قطع ١٤X١٩ – ٧٥ ق. س

قال صاحب الكتاب في المقدمة ص ٦ : « اني ارجو الله ان اكون قد وفقت في تقديم ما يضيف الى المكتبة العربية بحثاً يرتدي ثوب العلم والى القارئ العربي ركيزة علمية من ركائز الوحدة العربية تقوي ايمانه بها وتدفعه

للنضال من اجلها » . ومن الفهرس ص ١٢٩ اليك عناوين الفصول ... منها تعريف التخلف ــ تعريف التنمية ــ نظرات التنمية (الكلاسيكية : الماركسية الخ الخ) . وقد عالجنا المؤلف معالجة السرعة والاختصار ، فليست هي بمتناول العامة وتطلب اسهاباً وشروحات يضيق بها نطاق هذا الكتيب ، مع ذلك فنذيه خلاصة ما لا بد من معرفته للاطلاع على الدروس الاجتماعية المستحدثة .

الحمامات الدمشقية وتقاليدها

بقلم منير كيّال

سلسلة بلادنا

دمشق ١٩٦٦ ، صفحة ٢٤٦ ٢٢×١٧ ــ مزين من يد المؤلف بالصور والرسوم ٢٢٥ ق. س

دمشق من اقدم المدن في العالم واثارها دليل على حضارتها في مختلف عصورها ولا سيما الحمامات . وفي العصور الاسلامية عرفت بحماماتها العامة والخاصة ، ومما يساعد على ازدهارها كثرة المياه . وقد أشتهرت بما فيها من روائع الفن الاسلامي . في ص ٢٣٦ــ٢٤٠ ذيّل المؤلف كتابه في ٣٢ مصدراً او مرجعاً دليلاً على وفرة المواد التي اخذ عنها بحوثه من عرب ومستشرقين اخصهم ايكوشار ــ لذيذة هي قراءة الفصل الخامس عن الحياة الاجتماعية في الحمامات وفيه الفوائد من الفولكلور .

وجاء في ٢١٨ عن كبر سن الاطفال :

« اشو هادا يا جماعة ، والله حرام ، لمين هالولد وين امه ؟

فتجيب الام قائلة : ــ شو بتأمري يا حبيبتي ؟..

ــ المخروس ابنك ؟

ــ نعم ...

ــ اسم الله عليه شو ما احلاه

ــ الله يسلمك يا ستي

ــ اديش عمره البركة ؟

ــ والله يا عيوني لسعته زغير اول مشيو

ــ ليش ما بتجيبي ابوه تغسليه معو

ــ يه ابوه كبير ... »

واورد محمد كرد علي في مذكراته ان والدته اخذته معها الى حمام السيدات فقالت لها احداهن : « لماذا لم تأت بابيه معه ؟ فانقطعت عن أخذه معها الى الحمام منذ ذاك اليوم » .

ROBERT ADOLFS, o.s.a., *La tombe de Dieu. — L'Eglise a-t-elle encore son avenir?* Éd. Salvator, Mulhouse, 1967, 168 pp.

لم يتعود المؤلف على كبت جماح الكلمة. فهو ينقيها عن اقتناع في كل وقت: يعارك بكل جرأة في سبيل كنيسة تتنبم رسالتها وتظل أمينة لمبدئها ولا تريد ان تصير قبر الله.

ففي نظر هذا الراهب الهولندي ان الكنيسة الراهنة لا تتجاوب تماماً ومشاكل العالم القائم، وذلك العالم الذي لا يعير وجودها اهتمامه، ولا وجود الله.

ولهذا فبعد ان اعطانا درساً اجتماعياً ونفسانياً لعالم اليوم، وبعد ان رفض عقلية المنتصر او العقلية المتحجرة التي فيها تجاذف الكنيسة بمستقبلها؛ فانه يعظ الإنكسار والزهد ويعرض نتائج هذه الفضائل على الكنيسة كلها، علمانيين واكليروس، على العالم أجمع.

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده والذي تُرجم للغات عديدة سيكون هدف قبول البعض وغضب الآخرين. انما سيحمل الجميع على التفكير العميق والاستنتاج الفريد في عصر السرعة والتقنية.

ا. ع. خ.

PÈRE P. MONIER, *Miettes spirituelles*. Éd. Salvator, Mulhouse, 1967, 213 pp.

فتات روحية. ليست مؤلفاً روحياً. هي بعض الافكار فيها قوة تحمل على التفكير.

انما افكار ملؤها الفتوة والحكمة والفرح. افكار تتميز بالاختبار الروحاني الصحيح.

جمعها المؤلف حسب رسم واضح: ملكوت الله، المسيح صار خطيئة لاجلنا؛ الحقيقة، كرامة الانسان الحرّ، مباركة انت في النساء، العهد الجديد والابدي. وفي كل قسم من هذه الاقسام تشعر وكأن كل فكر من افكار المؤلف تعبر عن اختبار شخصي يمليه صدق الإختبار وفطنة المرشد الأمين.

ا. ع. خ.

Au fil des jours avec Jean XXIII ; le cœur d'un grande pape. Éd. Salvator, Mulhouse 1967, 38 pp.

حياة يوحنا الثالث والعشرين كانت نعمة للعالم كلّه. نجح في ان يُسمع صوت الكنيسة عند الشعوب بأسرها. هو صوت الحبر المحبوب الذي اراد جامع هذه النصوص ان يُسمعه لكل ذي ارادة حسنة.

وان القارئ ليجد في هذا الكتاب ولكل يوم من ايام السنة نصاً يلائم العيد الطقسي يعينه على فهم الظروف ويساعده على أن يحيا يوماً سعيداً في جو حب صادق عاشه ذاك البابا نحو رعيته كلّها، وخاصة الفقراء والمعوزين.

جامع هذه النصوص استقاها من وثائق مختلفة: المؤلفات الروحية، الرسائل العامة: الرسائل الرسولية، العظات الكثيرة التي اعطاها لمستمعين عديدين في كاتدرائية مار بطرس او في ساحة مار بطرس، او لأعضاء مؤتمرات متنوعة او لجماعات التأمت في روما لاهداف دينية وعلمية وفنّية ورياضيّة.

تنوّع في المواضيع وتطبيق هذه المواضيع على الحياة المسيحية، هذا ما يُعطي الكتاب قيمته.

ا. ع. خ.

S. Grun, *Jésus-Christ, Nouvel Adam ; sermons pour le cycle de Pâques.* Éd. Salvator, Mulhouse 1962, 132 pp.

ان الايام الميلادية تعيد الى الذاكرة الحياة الالهية التي ظهرت في شخص كلمة الله الذي تجسّد محبة بالبشرية. ان هذا الحدث بعيد في طيات التاريخ: انما المسيحي مدعوّ ان يتّحد بالمسيح يسوع. وكيف ذلك؟ ان العديد من البشر يعتقدون ان الذكرى كافية على هذا الصعيد، فيتذكرون المسيح الذي كانت حياته خيراً للجميع، المسيح الذي ذبح وصعد الى السماء. فيعبدون فيه الله الحيّ، انما طبيعة المسيح الممجّدة هي وسيلة النعمة التي تُحيي لان المسيح «البارحة واليوم وغداً». تجسّد ويريد ان يظل متجسداً الى الابد. فان الطبيعة التي لبسها هي في مجد الله، وهي اكثر من مثل نتمثّل به، إذ هي تعمل في ملء الروح الذي اقامها من الاموات.

ان المسيح يسوع يظلّ دوماً قرب الخليقة التي خلّصها: رأس ومخلّص والآدم الجديد فهو الذي يعيد البشرية إلى حال بصورة تعلو الحالة التي كانت عليها في الخلق. وهذا ما يلحّ عليه المؤلف ببراعة علمه وسعة اطلاعه.

وان من يتأمل الكرامة التي يُعطيه اياّها العماد ليقدّر هذا الكتاب في حيويّة كلامه والجديد في افكاره.

ا. ع. خ.

ROBERT QUARDT, s.j., *Sermons pour les fêtes de la T. S. Vierge.* Éd. Salvator, Mulhouse 1962, 148 pp.

كتاب يساعد الواعظين على تفهّم أسرار حياة العذراء ويساندهم في عرضها على الشعب ، فانه منسّق تنسيقاً وافياً وحسب تطوّر العقيدة ان في التعبير وان في شروح اللاهوتيين . والعرض هنا بسيط وموجز ؛ يبتعد عن البلاغة الفارغة وابتذال الكلام ؛ إنّه عمليّ وواضح ويذخر بالمواضيع القيّمة .

ا.ع.خ

R. FISCHER-WOLLPERT, *Qui mange ma chair.* Éd. Salvator, Mulhouse 1962, 149 pp.

محور العبادة الطقسيّة . إن الاوخارستيا شمس في حياة المؤمن . والمؤلّف يُعطينا تأمّلات ملأى حرارة تفكير وعمق توجيه اذ يعرض امامنا ذلك المتصر على الموت المسيح الاله الجالس في مجده والمتألم المصلوب الذي ينظر الينا من جهة ، ومن جهة ثانية الكنيسة التي هو رأسها .

فاذا ما أكل المؤمن جسد الرب فانه يشترك في آلامه . انه يقبل في قلبه عربون الحياة ، شرط ان يعمل حسب ما يتطلبه منه المسيح ، تغيير حياة وتبديل تفكير ليعطي للآخرين ثمرة الفداء التي أفاد منها .

يُعطينا المؤلّف الكثير ممّا يفهمنا ان الاوخارستيا تتجاوب وحاجات النفس المؤمنة وحاجات العصر الراهن ، في خدمة القريب .

وان الكهنة ليجدون في هذا الكتاب افكاراً جديدة ومادة واسعة يستطيعون شرحها للمؤمنين . وانهم ليرون فيه ان الاوخارستيا وان كانت ذلك السرّ الذي يساعد على السير نحو الكمال الشخصي فإنه ايضاً في خدمة المجتمع الراعوي والعائلة المسيحية جمعاء .

نتمنّى أن يزيد هذا الكتاب المؤمنين عبادة نحو القربان المقدس ويعطيهم القوة لمتابعة رسالة نبيلة : تقديس الكون بتقديس حياتهم .

م.ج.

URS VON BALTHASAR, *Qui est chrétien?* Éd. Salvator, Mulhouse 1967, 130 pp.

المؤلّف من اكبر لاهوتيي هذا العصر . ولقد انحنى على تحليل العناصر التي يتعلّق بها المسيحي اليوم، فينتقد ما يجب نقده ويقدّم ما يجب تقديمه .

وان العصر اليوم قاد الكثيرين من المسيحيين الى مواقف متطرفة دينياً ان في ما يتعلّق بالكتاب المقدس او بالطقسيّات او بالحركة المسكونية. فيطلع المؤلّف القارئ على كل هذا ويعود فيطبّر كل هذه التيارات الفكرية الروحية بدقة وعمق ويفتح الأبواب واسعة أمام المسيحي كي يظلّ على ما هو عليه من تعلّق بالمسيح – الاله، وبالاساس لا بالتشور. وكم من التشور خبّأت الأصل وراح المؤمن اليوم يتيه في صحراوات مشاكل ومشاكل لا تجدي نفسه نفعاً بعد أن هجر ذلك الذي يجب أن يكون أمامنا ومعنا فينا. وإن عناوين الفصول والأقسام تُنبينا عن خيبة المؤلف وعن أمله الأكيد في عودة المؤمن الى رصانة الايمان واتزان الفكر والعمل والحياة.

ا. ع. خ.

FLORENT SCHNEE, A.A., *Docute omnes gentes*. Éd. Salvator, Mulhouse 1961, 234 pp.

مجموعة عظات قيمة لمدار ايام الآحاد السنوية. يتوخّى المؤلف التعليم المنبثق من الايمان ومن الآداب المسيحية.

وضوح في الرسم، دقة في التوسيع، انتقاء المصادر والأمثال، صفات تسمح للوعّاظ باختيار واسع وبطرق مواضيع تهمّ عالم اليوم.

س. ج.

U. PLOTZKE, O.P., *La charte de la vie chrétienne: les Béatitudes*. Éd. Salvator, Mulhouse 1961, 250 pp.

التطويبات التي فاه بها المسيح على الجبل هي دستور الحياة الاجتماعية والاخلاقية حتى لعصرنا الراهن. والمؤلف اذ يستند الى الانجيل يعبر اكبر مشاكل الحياة التي تتعلق بالفرد والعيلة والمجتمع ويساعد انسان اليوم المتألم على وجود نور في ظلامه وقوة في ضعفه.

وإن العلمانيين ليستفيدوا جداً في هذه العظات التي يجدون فيها ثروة ايمان وتفكير. انما الكهنة هم الذين، في وعيهم لايجاد حلول وتعابير تنطبق على عقلية اليوم، يستطيعون فهم المبادئ الكبرى التي ترددها الكنيسة دوماً لانها تحمل اليوم وغداً حلاً لمشاكل الانسان، الا وهي سر الفداء، طبيعة الانسان، الايدية، السلام المسيحي في هذا العالم والوسائل التي تساعد على تحقيقه.

س. ج.

JOHN J. NAVONE, S.J., *Témoignage personnel*. Éd. Salvator, Mulhouse 1968, 278 pp.

من ميزات عصرنا الراهن انه يتوق الى الأصول. وها نحن مع المؤلّف نتأمل النصوص التي يبرزها والتي يعطيها الإطار الواقي لتفهمها على عمقها. فلقد اختارها بحذاقة ومجموعها يعطينا خطوط الروحي الكبرى.

إنّه لم يرد أن يُبهرنا بالبلاغة ولم يرد ان ينتقي بعض الأحداث التي وان ادهشتنا لا تعلّمنا التعليم الروحاني الصحيح. ولقد اختار روحانية قوية تتغذى بكلام الله: الايمان والرجاء والطاعة عند الآباء الاولين، الشجاعة عند الانبياء، كارميا مثلاً. ولقد استخرج معنى الوليمة العميق، ومعنى مثل السامريّ واستخلص توجيهات انجيل يوحنا الأساسيّة، وتوقف عند الإنابة الى الله وعند الصفتين اللتين يتميّز بهما المسيح: «السيد ــ العبد».

هي كلمات تنبض كلّها محبة وصفاء. وان الكنيسة تهدي دوماً ابناءها ليتعلّقوا بمن هو وحده الطريق والحق والحياة.

س. ج.

J. MICHEL, *Le problème de Jésus*. Éd. Salvator, Mulhouse 1968, 133 pp.

لا يكفي اليوم ان ننصح قراءة الكتاب المقدس، حتى العهد الجديد: يجب أن نساعد المؤمن كي يميّز ما هو حقيقة تاريخية او لاهوتية وما يعود الى الاسلوب الخاص بتلك الايام التي كتبت فيها الاسفار المقدسة؛ كي يميّز ما هو الحدث بالذات وصورته على ضوء المعنى الذي يحمله بين طيّاته؛ كي يميّز أخيراً بين الأسطورة والتاريخ.

هناك مشاكل عديدة تحملنا على درس أسس ايماننا وتتطلب جواباً: للاناجيل قيمة تاريخيّة وكيف ذلك؟ وكلام المسيح واعماله العجائبية، ما معناه وما قيمتها؟ أقام المسيح من الموت وانتصر عليه؟ ومن أعطاه لقب «المسيح» و «ابن الله»؟ ...

لغة المؤلّف اخترعها ليُفهم الغاية التي من اجلها كتب مؤلفه هذا للكثيرين من القراء، ولقد تطرّق الى كل هذه المشاكل بصراحة وصفاء. وهو يضع الآن في متناولهم وسيلة قيّمة في زمن ربما قاد فيه تأثير بولتمان على الفكر المسيحي الى فوضى.

س. ج.

PH. ROQUEPLO, O.P., *Expérience du monde : Expérience de Dieu ?* Recherches théologiques sur la signification divine des activités humaines. Éd. du Cerf, Paris 1967, 410 pp.

إن الإعتناء بالذين لا يؤمنون وبمصيرهم الابدي ؛ والاهتمام بوحدة المؤمن الروحية وهو حائر بين حياة دنيا وحياة روحية دينية ليحمل على السؤال : اهناك اختباران ؛ اختبار العالم واختبار الله ؟ أو قل ان اختبار الله هو الذي يعطي معنى وقيمة لاختبار العالم .

أمام كل ما يميّز الحياة الحاضرة من انعتاق من الروحيات ليس لنا من نور يهدينا الى صحة علاقة الانسان بالله إلاّ ما نراه من علاقته بالعالم (وان كانت هذه العلاقة غير واضحة لنور الايمان) . انما ؛ والامور هكذا. يجب أن يُعلّل هذا التفسير على ضوء الانجيل وان تهيأ الوسائل اللاهوتية التي تشرحه ليتوصّل بعد ذلك الى توضيح معنى الامور الدنيا الالهي : كالعمل والسياسة والابوة والجسد الخ .

وان هذه الروحانية العلمانيّة التي جرب المؤلّف ان يوضح اسسها اللاهوتية ؛ لا تذيب اسرار الايمان ولا تهدم الصلاة والأسرار ولا الكهنوت والدعوة الرهبانية .

وللمؤلف من الخبرة والوعي وسعة الاطّلاع ما يؤهّله ان يقوم بعمله هذا وباعطاء الامور القيمة التي لها دون ان يزيدها او ينقصها .

ا. ع. خ.

A. MOTTE, *La vie spirituelle dans la condition charnelle.* Éd. du Cerf, Paris 1968, 470 pp.

إن التجدّد الرّهباني لن يكون صحيحاً ما لم تُدرس الأوضاع الخارجيّة التي فيها يتمّ وعليه فيها أن ينير فيكون رمزاً حياً لدعوة الحيّة تفوق الزمن وتسامر ابدية الله .

وهذا فان المؤلّف أخذ على عاتقه ان يتدارس هذه الاوضاع الزمنية والأرضيّة فالتقى بادئ ذي بدء بعض الأنوار المسيحية على هذه الأوضاع وانتقل بعد ذلك الى الحياة الروحية التي على الانسان أن يعيشها في الجسد وفي كلّ ما يتعلّق بالجسد من حسّ وعاطفة . وبعد ذلك تصطحب المؤلف في تحليله الحياة الروحية وخضوعها للزمان والمكان وللمجتمع وينتهي الى فلسفة الرمز ينطلق منه الى صعود الروح وانتصاره ما دام ينظر إلى الأمور بجديّة على ضوء الايمان .

كتاب حافل بالأفكار والنصوص والمراجع القديمة والحديثة تفكيرًا لم يقتصر على الفلسفة فقط بل تعدّاه إلى اللاهوت وتاريخ الروحانيات عبر التاريخ والعلوم الإنسانية في تطويرها. وفي هذا كلّه رصانة العلم ووضوح المفكر وإيمان المؤمن. ا. ع. خ.

La religieuse aujourd'hui. Éd. Desclée de Brouwer, Bruges, 1968, 240 pp.

ان انتشار المجمعي في تجديد الحياة الرهبانية فتح الآفاق امام الرهبنات لخلق روح جديدة ووعي لا يبالي دوماً باحوال العالم الراهن لتسير الرهبنات في ركب الحضارة والثقافة والعلم حسبما تتطلبه منها الكنيسة وهي تعيش في عالم يصلح ان يكون الراهب فيه غريباً عن مغرياته، ولكن في خدمته وفي أتعابه.

وهذا ما وجّه المؤلفين الذين سهروا على وضع الكتاب الذي نحن بصدده. فانهم احبّوا ان ينظروا الى الحياة الرهبانية من النواحي العقائدية مستلهمين المبادئ التي اعطاها المجمع ليعطوا هم بدورهم التوجيه الصحيح الحقيقي لحياة رهبانية تتلاءم وعصرنا الحاضر.

وما يُستنتج من هذا الكتاب قيمة الحوار والتجدّد في معرفة الكتاب المقدس وروح الغيرة الرسولية المطابقة على عصرنا والانعتاق ممّا يلصق بالأرض ليظل الراهب رمز الملكوت؛ حيث الثروة الوحيدة هي الثروة الباطنيّة في خدمة الله والانسان. ا. ع. خ.

L'Eglise dans le monde de ce temps. Schéma XIII, plusieurs auteurs. Desclée de Brouwer, Bruges 1967, 420 pp.

مجموعة مقالات تفسيرية لتلك الوثيقة المحورية في تاريخ المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني. ولقد ضمّت اسماء كبار اللاهوتيين الذين ساهموا في نجاح المجمع المذكور وكل حسب اختصاصه. فمنهم من شرح معنى دستور راعوي ومنهم من ارّخ مراحل تكوين الدستور وغيرهم انحنى على درس علامات الزمن أو الايمان المسيحي وانتظار البشرية؛ أو الزواج والعائلة؛ او تشجيع الثقافة التي تكمّل الانسان، أو الحياة الاقتصادية والاجتماعية او الجماعة السياسيّة، او الحرب حسبما ينظر اليها الدستور.

مواضيع عديدة تطرّق اليها راهنر او كلفنر أو شنو أوشلبكس وغيرهم وأضفوا عليها من علمهم الغزير ومن اختبارهم اللاهوتي والاجتماعي

التطويل . واننا نجد في هذه الدروس ما يساعدنا على الولوج في الآفاق الواسعة التي ولجتها الكنيسة بشخص اساقفتها وخبرائها يوم التأم المجمع المسكوني وكان لأول مرّة أن ارادت التعمّق في علاقاتها بالعالم بصورة واضحة .

إنما بين المواضيع هذه نُلمح إلى ذلك الذي يتكلّم على الثقافة وكأنها محورُ الدستور الراعوي كلّه لأن لقاء الكنيسة بالعلم يتمّ بواسطتها . ونلمح أيضاً إلى الدرس الذي اعطاه الأب لوبرد عن الاحوال الاقتصادية والاجتماعية.

فلم ير المؤلّفون كلّهم أن يعطوا عن المواضيع التي درسوها الكلمة الفصل . إنما احبّوا ان يساعدوا القارئ ويوجّهوا التفكير اللاهوتي الذي سينحني على هذه المشاكل كلها ليتعمّق فيها وينظّمها .

ا. ع. خ.

JEAN-JOSEPH SUBLN, *Guide spirituel*. Desclée de Brouwer, Bruges 1963, 330 pp.

من لا يعرف المؤلف وتأثيره في الحياة الروحية في عصر كان ثريًّا بالمؤمنين الروّحيين . انما مؤلفنا وقد كتب عن اختبار عميق وألم عاشه طوال سنين . فاعطانا هذا الكتاب وضمّنه كل ما رآه اساسياً في سير الانسان الواعي نحو غايته القصوى : رؤيا الله .

ولقد خطّ المؤلف في كتابه هذا تعليماً يرجع اليه المؤمن فيجد غذاء روحياً صافياً ومرشداً قد تبلورت حياته بنور المسيح . فقال لنا ما هو الكمال الحقيقي والكمال المزيّف وما يعوق الانسان في حياته الروحية . وتطرّق الى بعض الفضائل يدرسها ويحلّلها والى الصلاة والمناولة والى بعض الاعمال الدنيوية والى بعض الحالات الفائقة الطبيعة . وبهذا طاف المؤلّف حول مواضيع مختلفة فوفاها حقّها واعطانا نظرة شاملة تجعلنا نثق بما قال ونهتدي بما سنّ ونعمل كما أشار فنسير سويّ الطريق . ولن نتساءل في سيرنا اذا كانت الروحانية التي يتكلم عليها المؤلف قديمة او تنطبق على مشاكل عصرنا الراهن . كل هذا يذوب أمام عمق الحياة التي يدعونا اليها في اسلوب وان شاخ فيظل يظهر الخفايا القيّمة التي منها يحيا الانسان .

ونجد في المقدمة تاريخ هذا المؤلّف القيم وخلاصة أفكاره العميقة وشرح بعض الظروف التي اثرت على المؤلف في كتابة مؤلفه هذا .

ا. ع. خ.